الشباب و العنف و الشارع في كنشاسا



مركز البحوث العربية والأفريقية

الشباب و العنف و الشارع في كنشاسا

نسمع و نفهم و نصف

تشيكيلا ك. بيايا

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

ترجمة: دينا حشمت

سلسلة أفكار جديدة 2000/1

هذه ترجمة لكتيب:

Les jeunes, la violence et la rue à Kinshasa
Entendre, comprendre, décrire
By: Tshikala K. Biaya
Published by: CODESRIA 2000
P.O. Box 3304
Dakar, Senegal

اسم الكتاب : الشباب و العنف و الشارع في كنشاسا :نسمع و نفهم و نصف

المؤلف : تشيكيلا ك. بيايا

إعـداد: مركز البحوث العربية – 10/8 ش متحف المنيل– منيل الروضة – القاهرة

ت/ف: *3620511*

E-mail: *arc@ie-eg.com*

المحتويات

تقديم :

ألقت الحركة الزائيرية من أجل الديمقراطية و التي ولدت يوم 24 أبريل 1990الضوء على العنف السياسي في مدينة كنشاسا. و الفراغ القانوني و الصراعات المختلفة على السلطة التي أتت فيما بعد و فتحت الباب لكل أنواع العنف الشرعية و غير الشرعية الأخرى التي سمحت بها في نفس الوقت. من ذلك سلب المحلات و المؤسسات الصناعية من 1991 إلى 1993، مذبحة المسيحيين في فبراير 1992، تصفيات الحسابات التي قادها الشعب ضد أعضاء الاتحاد الشبابي في الحزب-الدولة الراحل (JMPR)، المعارك ما بين الحرس المدني و الفدائيين، "ليلة السكاكين الطويلة" من فرقة الرئاسة الخاصة (Division Spéciale Présidentielle DSP) ضد العسكريين شبه المتمردين، أدخلت كل هذه الأحداث المدينة في دائرة العنف التي كانت حتى هذا التاريخ منحصرة في السجون السياسية و زنازين قوات الأمن. و قد أصبح هذا العنف الخام و العاري، الذي كان قبل ذلك كامنا، يشكل أساسا و قوة منظمة للسلطة الدكتاتورية نفسها و لسعيها في إعادة إنتاجها. و يشكل جزءا لا يقل أهمية فى ثقافة الشارع في كنشاسا، عاصمة البلد.

إن تحليل و فهم ظاهرة العنف ضد الطفل و الشاب في الشارع يحتاجان إلى إطار علمي ملائم. العنف في حد ذاته هو "سبب الفرق ما بين الواقع و الممكن" يلاحظ ج.جالتوج J.Galtung. إنه أيضا "نتيجة الحالة التي تتطور فيها الشخصية، بدنيا و ذهنيا، بصورة أقل من إمكانيتها في التطور". و من هنا، يصبح من الممكن التعرف على حالات من العنف الشخصي و الهيكلي على أن فيها "أسباب هذا الفرق تظهر باعتبارها تشكل جزءا من وظائفية (physiologie)

عمل النظام الاجتماعي و ليس من مرضه (pathologie) "(NCCVACA, Galtung in 1992:3).

إن هذه الدراسة تدخل في هذا الإطار. سيأخذ وصف و تحليل ثقافة الشارع الكنشاسي مكانا مهما فيها. و سيصحب هذا التحليل نموذج من حكايات سكانه الأكثر يؤسا. و سيختمه إطار نظري و تحليلي.

الشارع الكنشاسي و ثقافته

تطورت كنشاسا منذ الحرب العالمية الثانية حتى أصبحت هذه المدينة الواسعة التي يسكنها اليوم حوالي 6 مليون نسمة تعتمد الغالبية العظمى منهم على نفسها و تعيش في البؤس. يزدحم الشارع في كنشاسا بالشباب من سن 3 إلى 30 سنة لا يتركونه تقريبا ليلا و نهارا. يلجأ الصغار إليه لأنه لا توجد أماكن للعب في المساحات الداخلية للبيوت. و يرجع أغلبهم إلى البيت ساعة الغداء أو ليلا. و هناك هؤلاء الذين فضّلوا الشارع و لا يتركونه، قرروا أنه سيكون مكان حياتهم. هذه التعبيرات: *نجيريبا* *ngiriba*، *نجمبو* *ngembo*، *بلادوس* *ballados*، *كوباتا ليبانجا* *kobeta libanga*، *بانا امبوا* *bana imbwa*، *بانب شاجا* *bana shege*، *موانا ماي* *mwana mayi*، *بورو* *poro* إلخ التي تصفهم تشير إلى عالم و طبيعة شباب الشوارع هؤلاء، لثقافتهم و لتحركهم في هذا الفضاء حيث تفكر الموسيقى "بالأحلام" (*baplan*) و نشاطات (missions, coop) الشباب الكنشاسي اليومية.

إن ظاهرة العنف في الشارع حديثة و مرتبطة بسياسة المدينة الاستعمارية التي كانت تقوم بترحيل الشباب العاطلين و الجانحين الصغار délinquants إلى قراهم الأصلية. و شجعت هذه السياسة أيضا العنف عند الشباب الذين نجوا من الترحيل، و كانوا يقدمون أنفسهم كأفراد المدينة و يقومون بحركات عنف مقلد.

كثيرا ما كان يشكل هؤلاء الشباب عصابات في الحي تتعارك في الشارع. و عند الحاجة كانوا يعاقبون أهلهم الذين كانوا يريدون أن "يعاقبوا" من خلال تجنيدهم في الجيش. و قد صحب نموذج الاعتزاز بالنفس valorisation **هذا تقليد لشخصيات الدرجة الثانية في السينما الأمريكية العنيفة: فكان كل أعضاء العصابات يختارون أسماء زعماء هنود، ممثلين من هوليود أو رسومات متحركة. بعد ذلك في الستينات ظهرت السينما الفرنسية.**

أصبح الجنس النشيط sexualité active **(اغتصاب البنات، ممارسة الدعارة المثلية كي يتمكن الشباب من الذهاب إلى المواامس و "يفتخر" بذلك) و صارت المخدرات وسيلة لطرح أنفسهم ك"متحررين". و كان "الجو" أي المثلث موسيقى– شرب –*ندومبا* *ndumba* (مومس) أي كل الذي لا يمكن الحصول عليه إلابالمال، يكمل اللوحة. و تعمم وضع "اللي بيعيش الجو" – المثلث السابق شرحه – الذي كان قبل ذلك مسموحا للنخبة الاستعمارية فقط، مع ظهور موسيقى الشباب في السبعينات. ثم لجأ الحزب–الدولة (MPR) إلى جزء من "المجرمين الصغار** délinquants **المعروفين" و أدخلهم في فروع مختلفة من اتحاد شباب الحزب (JMPR) و من النشاطات الثقافية و السياسية. و قد منحهم الفرصة للسيطرة على الشباب الآخرين و على المجتمع الذي حاولوا من الآن و صاعدا أن يسيطروا عليه. و لكن ابتعد جزء من الشباب عن هذا التجنيد و أسس ال** SAPE **أو هاجروا لأوروبا (*Miguel*) أو أمريكا الشمالية (** *Grand Mikili, Grand Nord* **). هذا لم يعن أن هذه الجماعات قد امتنعت عن ممارسة العنف (سرقة، نصب، استخدام أموال مزيفة، مخدرات، الخ)، بل صارت ثقافتها عابرة للحدود** transnationale.

إن ثقافة الشارع هي إذا في نفس الوقت نمط حياة في العاصمة كفرد "مديني" و عدد من ممارسات العنف. و هي لا تدور في الفراغ. إنها تشكل جزءاً من النظام و إعادة إنتاج الأفراد و المؤسسات المحلية و القومية.

و تستحق ثقافة الشارع، التي بناها و سيطر عليها الشباب من كافة الفروع، دراسة معمقة من أجل تحديد العناصر المختلفة و أنماط التعبير في إطار عام عابر للحدود transnationalité**. إنها غنية بالتجديدات الثقافية و اللغوية و بالإبداع في تنظيم الحياة اليومية و تملي نقصا وجوديا. حيث أنها وجدت في الأزمة الاقتصادية الحالية و في الثغرات التي فتحتها لها السياسات الوطنية، الكارثية للسكان، مجالا مثمرا لتطورها. و يمكن تلخيص هذه الثقافة الديناميكية و هياكلها المختلفة، المتناقضة أحيانا، و المتكاملة أيضا، في التعبير *كنشاسا، مبوكا نجيلي*** Kinshasa, mboka ngele**: أي لا بد من الحرص في كنشاسا لأن العنف موجود دائما. و تعمل هذه الديناميكية الثقافية المليئة بالتناقضات، بمساعدة واعية أو غير واعية، من الطبقات الاجتماعية المختلفة و من السياسات المحلية و القومية التي تشارك في إبقائها و انتشارها (**Biaya 1996**).**

إن الشباب بالتأكيد قادر على ارتكاب أفعال عنيفة أفرادا أو جماعات. و لكن تبقى المعطيات الأولى أنهم لابد أن يعتمدوا على أنفسهم لكي يضمنوا قوتهم من خلال نشاطات تسمح لهم بذلك. و في مدينة اختفى فيها العمل الرسمي تقريبا، فإن البحث عن وسائل للإبقاء على قيد الحياة قد أجبر العديد من الأطفال و الشباب (من 8 **إلى** 35 **عاما) على الالتحاق بالشارع و ممارسة العديد من المهن الصغيرة المختلفة المسماة *لبنجا*. و يشير هذا التعبير *كوبيتا لبنجا*** *kobeta libanga*، **أي "كسر الحجر"، إلى العمل "الدنيء" و "القذر" و غير المحبوب. و يشير أيضا إلى عالم العنف سواء أكان خفيا أو واضحا. و لكن دعنا نرى، من قبل، من هم شباب الشوارع هؤلاء .**

إن التحقيقات التي أجريت في الفصل الأخير من سنة 1996 و في يناير 1997 تظهر أن هناك أصلا اجتماعيا متنوعا للشباب الذين تزدحم بهم الشوارع، فلديهم البعد و المشاعر الإثنية ضعيفة و هامشية جدا و ذلك بسبب التنقل الثقافي النشط و الحاجة الماسة لخلق لغة الشارع و ديناميكية التوحد الثقافي التي تميز موسيقى الشباب. إن شباب الحي يجتمعون حسب التقاربات و التشابهات الاجتماعية أكثر مما يجتمعون حسب أصلهم الإثني. و برغم حضور الاثنية في خطاب القوى الوطنية إلا أن تضامن الشارع قد أهملها، أو تجنبها. إن أطفال الشوارع لا يتكلمون عن أصولهم و إنما يهتمون أساسا بأفعالهم، و حياتهم الراهنة، و النشاطات التي يمارسونها. هم ينزحون من ضواحي كنشاسا الفقيرة أكثر من وسط المدينة، و من وحداتها السكنية المنظمة. و دائما ما يتجنبون الأهل و حيهم الأصلي. حكاية مفويدي تشير إلى ذلك:

مفويدي Mfwidi (عصفور، الساحرة الشريرة الصغيرة)

مفويدي تبلغ السابعة من عمرها و تعيش في ماتونج بالقرب من ساحة الفنانين. ترتدي لباسا و تتسول. فقدت صوتها. إنها بنت ديتوتالي و نسينجي. أمها ولدت طفلا ميتا. و لجأ أهلها إلى عراف لمعرفة حكاية موت الطفل. تحدث لهم العراف عن ساحرة شريرة صغيرة حولهم. قرر الاثنان أن يذهبا إلى مجموعة الصلاة في كنديلي. حدد القسيس مباشرة مكان العفريتة: مفويدي. تلك الأخيرة حدث لها تعزيم. قضت ليلتين عند القسيس الذي كان يصلي من أجلها. عندما رجعت إلى البيت، بدا أن كل شيء سيهدأ. بعد عام، ولدت الأم طفلا ميتا آخر. و عندما خرجت من المستشفى أعلنت أن بنتها ساحرة شريرة و طردتها من البيت العائلي. منذ سنتين تهيم البنت في ماتونجي كعصفور. عندما تركت حيها، وقفت

في مدينة كنشاسا الجامعية حيث كانت تتسول مالا و أغذية في محطات الأتوبيسات و كانت تفتش في قمامة الطلاب لكي تأكل. كانت تنام في مجاري احتلتها تقريبا الرمال التي كانت تغطي بها نفسها. في يوم، تعرفت عليها جارة: هربت إلى وسط المدينة و هي تتابع السير في الطريق المسفلت. التقت بأطفال آخرين و استأنفت حياتها. ترفض أن تغير لبسها لأنها تخوّف هكذا *العصافير* الأخرى و العابرين الذين يرون فيها ساحرة شريرة و يتركونها في حالها.

أصغرهم سنا مولود في كنشاسا (من 4 **إلى** 10 **سنوات) و لكن العصابات الأكبر سنا (أكثر من** 16 **عاما) يشكلون من مهاجري شباب الأرياف. إن الفقر و البؤس و السحر و أشكال مختلفة من العنف العائلي هي الأسباب الأساسية وراء تركهم البيت العائلي**[1]**، و هذا ما أدى إلى تسميتهم *شيجي*** *shege* **في التعبير الشعبي. يصل عددهم إلى** 10000 **للأقل من** 15 **عاما (**Kalonji 1996**) و ازداد بعد** 1991 **بسبب إفلاس النسيج الاقتصادي و وقف المساعدات الأجنبية و الارتفاع الخرافي للأسعار و سلب و تدمير المحلات و الشركات الصغيرة و المتوسطة من** 1991 **إلى** 1993.

الفرق ما بين *طفل في الشارع* و *طفل من الشارع* واضح في رواياتهم عن حياتهم اليومية. يتم العبور من مجموعة إلى أخرى في اتجاه اندماج متدرج للشاب حسب آلية نفسية غير واضحة: الخوف من عقاب الأهل (إذا رجع إلى البيت) و الانجذاب الذي يشعر به نحو عالم أمثاله، عالم الحرية و اللعب. إنه ينظر في الواقع إلى هذا العالم المليء بالدفء على أنه بديل للأسرة. من جهة أخرى فان البؤس الحالي قد أبعد أطفالا كثيرين من البيت

[1] و لكن يرى د.موتندا أن من الصعب أخذ كلامهم في الاعتبار، لأن هؤلاء "الأطفال" متعودون على الكذب و كثيرا ما يحصلون على قوتهم من خلال الكذب.

الأبوي، حيث شجعت ندرة الطعام المشاعر الأنانية فانتهى التضامن و الدفء العائلي. فلنتسمع إلى هذه الشهادة:

بيلاندي (موانا يمبوا mwana imbwa)

بيلاندي ابن قسيس جاء إلى كنشاسا من الكاساي سنة 1964 مع عائلته. إنه السادس ما بين 12 طفلا، 5 بنات و 7 صبيان. إن أمه، زوجة ثانية تركت من أجل امرأة أخرى. من السنة الثالثة ابتدائي ترك المدرسة لأن أباه رفض أن يدفع المصروفات. بدأ "يتصرف" لكي يحصل على القليل من المال. هرب بيلاندي من البيت لأن زوجة أبيه اتهمته بالسحر و أقنعت أباه أنه كان يعذبها ليلا و أنه سحر حملها. ضرب بيلاندي و أجبر على الاعتراف بهذه القدرة فهرب من البيت بعد هذا العذاب بقليل. كان يعيش في سوق كنشاسا الكبير و في ساحة الانتصار. بلغ اليوم السادسة عشر من عمره و ترعرع في الشارع. نجح في أن يتقبله *البورو* (أكبر واحد في العصابة) الذي يسيطر على العمال الصغار في ميناء نجوبيلا. لا بد أن يذهب إلى الميناء كل صباح لكي يشحن بضائع النساء التاجرات ما بين برازافيل و كنشاسا. هذا يسمح له بكسب القليل من المال و لكن هذا المبلغ لا يكفي لكي يصبح مستقلا. حصل على هذا المكان عندما ضرب حتى النزف *موانا يمبوا* آخر. فقبله بورو. يقضي بيلادي لياليه في نجوبيلا بييش، راقد على الرصيف. و أحيانا، عندما تكون الليالي باردة، يسمح له و لأمثاله أن يناموا في ممرات عمارة "الجمارك" مقابل مبلغ صغير من المال يدفعونه للحرس. سهراتهم صاخبة، مليئة بحكايات عن السرقة و عن كيفية الحصول على مال. و أحيانا يشربون نوعا من الحشيش يحصلون عليه عند *الفاسور* في بارومبو أو محل كينتامبو.

أتى الشباب إلى الشارع بعد مغامرات مختلفة و لكن كثيرا ما تكون مشابهة في أسباب و ظروف الرحيل: البؤس و العنف. و أحيان يحدد الفشل الدراسي أو ترك المدرسة أو أسباب نفسية هذا الرحيل كما حدث في حالة ثيم علي:

ثيم علي (*موانا لوندا mwana lunda*)

ثيم ابن أستاذ في الجامعة. سافر مع أسرته إلى دول عديدة. حسب كلامه "دوخته" هذه السفريات. فشل في عامه الثاني (العام الثاني بعد المدرسة الابتدائية). كانت أخواته الصغيرات تشعرنه "بالقهر" لأنهن كن ينجحن. بدأ يتعرف على شباب من حي مبانزا ليمبا في السابعة عشر من عمرهم في حين أنه كان في الثالثة عشر. في يوم ذهب معهم. بدأ الاشتراك في البحث عن بنات للاغتصاب. كانت تسمح له هذه اللعبة أن يقول للناس أنه هو أقوى واحد و أجمل واحد كمحمد علي. كان يسمى أيضا مارلي Marley لأنه كان أحسن راقص *راجي reggae* في المجموعة. اكتشف أبوه هذه اللعبة فطرده من البيت. يعيش مع أصدقائه الذين كانوا وصفوا له الحياة في كاهمبا: محاجر الألماس و المال المجنون. دخل يوما بيته في غياب أهله. أخذ مالا من حقيبة أمه و اختفى إلى الأبد. بعد ذلك بثلاث سنوات، تم إبلاغ أمه أنه موجود في المستشفى الجامعي بجروح في البطن و الصدر. دفعت أمه ثمن العلاج و لكن أباه رفض أن يراه. فضّل ثيم أن يعود إلى الشارع حيث هو اليوم *بورو poro*(رئيس عصابة). يعطي أوامره لمجموعتين من الشباب (يمارسون مهنا صغيرة مختلفة) الذين يطاوعونه. يقول ثيم إنهم مجبرون على الولاء له لأنه قتل *البورو*

العجـوز و حـل محلـه. ويؤكـد أنـه الآن قـادر علـى استخدام سـلاح و أنـه يمتلك سلاحا.

عالم الشارع هذا، عـالم الحاجـة و العنف و لكـن أيضا عـالم اللعب و الحريـة حيث يجرؤ الصغار على خطواتهم الأولى، تجهزهم لنمط حياة "المتشرد"، التي تنتهي بالانتصار على حيرتهم. ثم يترعرعون فيه و يجدون بعد ذلك تبريـرا سهلا و طبيعيا، كما فعل نـديكوي، شاب في الثامنـة عشـرة مـن عمـره، الـذي يشير إلى الثورة التي أجبرته – حسب قوله– على الهروب مـن كيسانجانيي: وقعت هـذه فعلا، و لكن قبل هذا التاريخ بثلاثين عاما! تشير هـذه الحجـة مجـازا إلى العنف السياسـي و الاجتمـاعي، و تكفـي مـن وجهـة نظـره لكـي يختـرع نفسـه *كفاسـور* .*phaseur*

قطاعات الشباب المختلفة و حكايات من عالمهم

قـد ينقسـم أطفـال و شـباب الشـارع في كنشاسـا إلى 7 أنـواع حسـب سـنهم و النشاطات التي يمارسونها في الشارع: *العصافير* (من 4 إلى 7 أعوام)، *البانا شيجي* bana shege (مـن 8 إلى 12 عاما) ، *البانا يمبوا* *bana imbwa*(مـن 13 إلى 17 عاما)، *البلادوس* *ballados*(من 15 إلى 23 عاما)، *الفاسور* *phaseurs*(من 15 إلى 20 عامـا)، *النجيريبـا* *ngiriba*(أو *يـانكـي جوربـا* *yanke,gurba*) (مـن 20 إلى 27 عاما)، *البانا ماي* *bana mayi* (مـن 20 إلى 30 عاما) و *الكرانـور* *kraneur* (أكثر من 30 عاما). و تصف هـذه المسميات عصابات الشباب المختلفة و يقـوم شـباب أكبر سنا أحيانا بتنسيق نشاطاتهم، *النجيريبا* أو *الكرانور* الذي يستخدمهم لارتكاب "ضربة" أو سرقة بالسلاح.

العصافير (من 4 إلى 7 أعوام)

إنهم "ضيوف غير مرغوب فيهم" في أسرهم. يترددون على فضلات الجامعات و سكن المدارس و المطاعم و الأسواق، الخ. هؤلاء "الزبالين" بنات و صبيان، اكتسبوا اسمهم من الوسط الجامعي حيث كان الطلاب الجدد يسخرون من الكبار الذين أنتجوا "أطفال الشوارع" هؤلاء و لم يراعوهم كما تشهد على ذلك تجربة شانتال:

شانتال (*موانا شيجي* *mwana shege*)

شانتال بنت في الثامنة من عمرها. قالت لها أمها إن أباها كان طالبا في جامعة كنشاسا. كانت جوعانة فقررت أن تذهب للبحث عن أبيها. كانت أمها تضربها و تسبها قائلة إنها أصبحت *ندومبا* (مومس) بسبب أبيها و إن أهلها أيضا تبرءوا منها. شانتال أكبر واحدة ضمن ثلاثة أطفال آخرين، ولدان و بنت صغيرة جدا. كل من الأطفال الثلاثة كانت تقدم له يوما واحدا وجبة. اختارت شانتال أن تأكل يوم الاثنين، يوم الثلاثاء كان دور بيتشو و الأربعاء دور ماكس. عندما كان لدى الأم مالا كانت تعطي أكلا أولاً للصغير لأن أباه كان يعطي له هذا المال. بدأت شانتال التسول. فاجأتها أمها يوما و ضربتها بعنف. هربت و رفضت أن تعود إلى البيت. تعيش نواحي البريد الكبير مع مجموعة من الصبيان و البنات في نفس عمرها. تشحذ مالا و طعاما... من وقت إلى آخر تسرق من الفيترينات أشياء صغيرة تبيعها في مكان بعيد. و في الليل تدخل المجموعة تحت الكراتين وراء مبنى البريد.

هذا القطاع من الشباب متروك بلا رعاية في وسط الساحة العامة. يبدع قوانينه الخاصة و يحاول أن يعيش كما يقدر في الشارع و في محطات الأتوبيس و

في ممرات العمارات و في السوق، الخ. في الشارع يتحركون في مجموعات من اثنين أو ثلاثة في حين يتقدم آخرون بمفردهم. يشحذون بالدور ثم يقسمون النتيجة. تعاشر البنات الصبيان بدون عقد مرتبطة بالجنس. "هؤلاء الأطفال يعيشون في مكان و في لا مكان. البعض لا يعرف أباه و لا أمه" (Kalonji 1996). يمشون نصف عراة أو مغطون بالخرق. أحيانا يكفي لباس لتغطية عورتهم. يلعبون كثيرا في أنهار الكالامو و الماكيليلي و النجيلي التي تعبر المدينة.

البانا شيجي bana shege (من 9 إلى 12 عاما)

إن ظهور كلمة *بانا شيجي* المؤخر يؤكد ديناميكية و تاريخية الشارع كفضاء ثقافي يجعل ثقافة المدينة في كنشاسا مرتبطة ببعدها ما بعد القومي. ظهر هذا التركيب التعبيري الجوهري syntagme substanciel **الذي يعني "أطفال شنجان" في** 1993 **و يشير إلى وضع الزائيرين غير الشرعيين الذين تم طردهم من أوروبا بعد مركزة معلومات مكاتب الهجرة و تشديد مضايقات شرطة الحدود. يصلون قذرين، بدون مال أو لبس و يرجعون إلى نقطة البداية: هم أيضا كانوا يحاولون أن يعتمدوا على أنفسهم و كانوا ينتمون إلى أطفال الشوارع. يعيش *البانا* شيجي إذا مجازا نفس وضع غير المرغوب فيهم.**

يعيشون في أرهاط تنقسم عند الصباح إلى فرق تتكون من ثلاثة أو أربعة. ثم يذهبون للبحث عن الطعام و كثيرا ما يقضون يومهم في اللعب، يشعرون بالجوع يشحذون مالا أو طعاما، مثيرين شفقة العابرين بحكاياتهم الدرامية و بتصرفهم التعيس. كثيرا ما يخترعون حكايات للبقاء. و عندما يحصلون على طلبهم يرجعون بكل سعادة للعب. و لكن أحيانا ينقلبون ضد هذا أو ذاك الذي لا يلبي طلبهم.

كثيرا ما يكون عنفهم شفوياً. يقذفون بكلمات قبيحة أو شتائم تقليدية، و هذا للنساء أكثر. تحتج أحيانا النساء، و لكنهن ينتهين، و يسيطر عليهن الإحساس بالعار و الكسوف، إلى الشكوى لمارين آخرين عن التربية السلبية *للبانا شيجي* و عن عدم مسؤولية أهلهم أو المجتمع. يستمتع هؤلاء التعساء –*نجيمبو* (خفاش) – بهذا كله و يهربون بعيدا، ثم يصرخون بتلك الشتائم التقليدية للسيدة (عنف رمزي و لغوي). و لكنهم لا يستخدمون نفس التكتيك في مواجهة الرجال. ينتظرون أن يكونوا خارج جوهم لكي يشتموهم، لأن الرجال أكثر جرأة من النساء و كثيرا ما يلاحقونهم لتأديبهم.

البانا يمبوا bana imbwa (من 13 إلى 17 عاما)

يعملون و يعيشون هؤلاء المراهقون في ميناء كينجابوا و في بيش نجوبيلا Beach Ngobila**. و تتكون جماعتهم من *بانا شيجي* قدماء و من عناصر جديدة التحقت بهم. يساعدون في شحن و تفريغ المراكب الصناعية و التجارية و يساعدون أيضا الركاب. أقوياء و مفتولو العضلات، هؤلاء يعيشون كثيرا في عصابات صغيرة يسيطر عليها أحدهم: أكبرهم و أقواهم، *البورو*. يتعاون *البورو* كثيرا مع شرطة الميناء، التي تقوم بدور المساعد السلبي** complice passive **و تشارك في السرقات. عندما يبيعون المسروقات في السوق، يقسمون المال. تتعارك تلك العصابات المختلفة المتعادية كثيرا، في الوقت الذي تعمل على نفس الأرضية. و لا يدخل هؤلاء الشباب المدينة إلا في لحظات معينة. يقولون إنهم ليس لديهم أسرة. يشكلون عصابات منظمة من السارقين أو المجرمين الصغار** délinquants**. و تسميتهم، التي يمكن أن تترجم حرفيا ب"الكلاب الصغار" واضحة: لا أهل، لا مأوى، يقضون حياة تشرد في البحث عن لقمة العيش، و لعبهم عنيف.**

الفاسور les phaseurs (من 15 إلى 20 عاما)

يمكن التعرف عليهم بسهولة لأنهم يدخنون الحشيش. كما *البانا يمبوا* هم *عصافير* كبروا بفضل الشحاذة و السرقات الصغيرة، و هم يلعبون في الشارع و ينامون في الهواء الطلق. و لكنهم أصبحوا في هذه المرحلة من العمر مدمني مخدرات. يمكن التعرف عليهم من خلال تصرفهم و نظراتهم التائهة و ملابسهم القذرة و رائحة القنب التي تفوح منهم. لا يبعدون عن أماكنهم المفضلة. أثناء النهار يهيمون في محطات الأتوبيس أو محطة القطار و يشحذون في وسط المدينة و في الشارع الذي يذهب إلى بلدية كيتامبو. أثناء الليل ينتقلون حول البارات و يعتدون أحيانا على السكارى ليأخذوا منهم مالهم. في أغلب الأحوال *الفاسور* هم أطفال هربوا من العنف الأسري و تركوا المدرسة بسبب نقص الإمكانيات المادية. و يؤكد البعض أن سبب وجودهم في الشارع هو طلاق القريب أو وفاة الجد الذي كان مساعدهم الوحيد.

البلادوس ballados (من 17 إلى 23 عاما)

يشكّل هؤلاء صنفا من الشباب يعتمد على النشل و الاغتصابات و الاعتداءات ضد المارة. إن أصل كلمة *بلادوس* ما زال مجهولا. يعتقد البعض أنها تأتي من كلمة "سي بلادي" se balader بالفرنسية أي الهيام بدون هدف. التمييز الجنسي واضح في تقسيم المهمات. يتولى الصبيان نشاطات العنف و الاعتداءات على المارة و المارات. يعتدون على النساء التي تعبرن جسر كاسا فوبو عند الغروب. و أحيانا يعتدون على النساء في نصف النهار: ينشلون مجوهراتهن و حقائبهن أو المال الذي يعرض أمام البوتيكات، الخ. و يستغلون كل المناسبات

لكي يقوموا "بضربة". منذ بدايات الثمانينيات تطوروا في تكتيكهم. يعملون في عصابات و عندما يتم القبض على أحد منهم يتدخلون بالسلاح الأبيض أو يقومون بحملة عقاب ضد الفارس الذي يدافع عن النساء. و يجد هذا الأخير نفسه المعتدى عليه من قبل العصابة التي تعاقبه بطعنة على "جرأته". و في أغلب الأحيان لا توجد المسروقات مع *البلادوس* الذي تم القبض عليه لأنه قد أعطاه لمساعد له، معروف أن بيع البضائع المسروقة يحدث بعد السرقة. عندما ينجح الحدث يلتقون بعد هذا في مأواهم و يضحكون.

جونيور، بلادوس: مهاجرون من الأرياف، سجن، و مثلية جنسية

يبلغ جونيور الثامنة عشر من عمره. وقد مضى سنتين في سجن ماكالا. إنه *بلادوس* قديم. أتى من باندوندو إلى كنشاسا لكي يدرس. لم يكن يتكلم لينجالا. كان عمه الذي وعده بمساعدته عزل أو تم نقله إلى محافظة أخرى فوجد نفسه وحيدا. في يوم في المساء أراد أن يركب الأتوبيس الذي يذهب إلى ماتيتي. لم يدفع تذكرته و رآه كمساري *الفولا-فولا* (سيارة نقل تم تغييرها و مخصصة للمواصلات في المدينة). ضرب بشدة و ترك بلا حركة على الأرض. عندما وقف، كان الوقت ليلا و الجو باردا. ذهب ليحمي نفسه تحت أحد الكباري في ليميتي. هناك قابل ثلاثة مراهقين كانوا يتسلون برمي حجارة على السيارات التي تمر على الطريق السريع. أصبحوا أصدقاء و قابلوه. في الصباح دخنوا الحشيش قبل أن يخرجوا لينجزوا مهمتهم. قالوا له: "أنت تتابعنا. إذا أعطينا لك شيئا، خذه، ثم خذ الطريق العكسي و ارجع انتظرنا هنا". هكذا كان خروجه الأول مع هؤلاء *البلادوس*. نشلوا عقدا لامرأة في الملاهي. نجح هو في الحفاظ

عليه. بعد ذلك، من سرقة إلى سرقة، تعرف عليه رجل و أخذه إلى شرطة السوق المركزي بتهمة سرقة محفظته و أوراقه. برغم انكاره، تم نقله إلى زنزانة ندولو ثم إلى سجن ماكالا. تعلم في السجن أن يصنع لعباً صغيرة و أن ينحت مع "عجوز". كان *الكابيتا جينيرال*، القبطان العام يستخدمه كخادم و زوجة و طباخ. و هذا سمح له أن يأكل و أن يبتعد عن المشاكل. يقول: "السجن وسط قاس. بدون رئيس، انتهيت." في يوم أتى القسيس لزيارة السجن. و حيث أن جونيور يتحدث القليل من الفرنسية، شرح له وضعه و ذهب القسيس للبحث عن معلومات. بعد ثلاثة شهور أفرج عنه. لم تكن قد قدمت أي شكوى ضده.

هناك أيضا بنات في عصابات *البلادوس*، تنهب و تسرق و تعتدي على الكنشاسيين. لا يرافقن العصابة التي تعمل و لكنهن يتصرفن بطرق أخرى. تستخدمن جسدهن و إغرائهن لجذب "بتوع الجو" غير الحريصين أو أي رجل سكران يأتين به إلى وكرهم حيث يقوم المساعدون بنشله. أو أحيانا تختفي بمحفظة عاشق الليلة و تتركه بدون مال في فندق. بعد انتشار هذه الظاهرة أصبحت الفنادق تجبر البنات على ترك بطاقتهن الشخصية كوديعة لتجنب هذا النوع من الحوادث.

و يمتلك *البلادوس* أوكارا في البلديات القديمة (لينجوالا، بارومبو، كنشاسا، كينتامبو...) و في المناطق المجاورة (ماسينا و ندجيلي و بومبو و كينجابوا، إلخ) حيث "التجاور و عدم النظافة و البارات الكثيرة و الأسواق الليلية و أحيانا النقص في الإضاءة الليلية" (Kadiambiye&Mpanga1985:74) تشكل العناصر السوسيولوجية التي تساعد على ظهورهم.

النجيريبا ngiriba (من 20 إلى 30 عاما)

إن أصل كلمة *نجيريبا* مجهول و لكن كانت تدل في البداية على مجموعات المجرمين الصغار délinquants في الأحياء التي كانت تعرف على أنها *ينكي yanke*. قبل الاستقلال كانت عصابات الشباب هذه تغتصب البنات و تتعارك في الشوارع و يتحدثون الاندوبيل، و هو خليط من مصطلحات متعددة اللغات في إطار من لينجالا. إنهم السبب في القانون عن الإجرام في 1950 و تغييراته في 1959 و 1978. بعد 1960 دل هذا الاسم على المجرمين و قطاع الطرق و العسكريين القدماء –في أغلب الأحيان الهاربين من الخدمة العسكرية – هم معروفون في أحيائهم. يعتدون شفويا و بدنيا على شباب الأحياء التي يعيشون فيها. عامة يأتون من باومبو و لينجوالا و كنشاسا و كنتامبو المدن الاستعمارية القديمة . إنهم يكرهون المثقفين أو الشباب الذين يذهبون إلى المدرسة. ينظمون و يشاركون في الاعتداءات و السرقات في الحي و الاعتداءات المسلحة مع *البلادوس*.يبيعون للتجار بثمن رخيص (المعرف بالثمن *المانجوندو*) الأشياء المسروقة بمساعدة *البانا شيجي* الشباب أو *البلادوس*. بصفتهم *بلادوس* قدماء يفرضون أنفسهم بسهولة بواسطة العنف المسلح على عصابات الشباب التي يستغلونها.

البانا ماي bana mayi، الزعماء الجدد (من 20 إلى 30 عاما)

الشباب *الكرانور*، عاطلون يحبون الحياة الجميلة، يفضلون أن يسموا أنفسهم بينهم *بانا ماي*. ينتمون إلى عصابات من *البلادوس* القدماء التحق بها شباب عاطلون آخرون و موسيقيون و مدمنو مخدرات، ينجحون، بحجج مختلفة أن ينهبوا مالا و ماسا و ذهبا و أشياء أخرى. ينجحون في هذا من خلال استخدام

طرق نصب عديدة ضد المجموعات الاجتماعية المختلفة في كنشاسا. و يرجع التعبير *موانا ماي*، الذي يصعب ترجمته، إلى النشاطات التجارية ما قبل الاستعمار التي كانت تجري على النهر و إلى اتفاقية الاخوة و الدم. أثناء الاستعمار كان يدل على غير المرغوب فيهم و المجرمين الشباب délinquants الذين كانت الإدارة ترحلهم إلى قراهم و لكن الذين كانوا دائما يعودون. و يحمل هذا التعبير تحديا أخلاقيا و قانونيا و اجتماعيا للمجتمع لأن حقله اللغوي و المعنوي lexico-sémantique مرتبط بتأدية أفعال مشبوهة. و يحتوي هذا التعبير العام و المثني على عدد من النشاطات غير الشرعية و المربحة. فان *البانا نجيلي* مثلا، من البلدية التي تحمل نفس الاسم، هم الذين يقلدون الوثائق المرتبطة بالهجرة الدولية: جوازات و تأشيرات مزورة يبيعونها للشباب الراغبين في السفر إلى الخارج. يقال إنهم يزورون أيضا كارت الإقامة للولايات المتحدة. و *البانا ماتونج* – من الحي الذي يحمل نفس الاسم – يعملون في القوادة و المثلية الجنسية و الدعارة. و يدل *البانا مانجمبو* – اليوم *كينتامبو* – و *بانا بارومبو* على الحيين القديمين *للبلس*، و على المجرمين الصغار délinquants الذين كانوا يغتصبون و يخطفون البنات. فلنسمع إلى قصة لولا:

لولا (لندونية)

عندما بلغت الثالثة عشر من عمري، أفقدني ابن عمي الذي كان يعيش في بيتنا عذريتي. كنا نسكن بيتا في معسكر باكوانجا. كان بابا يعمل ميكانيكي مراكب. كنا نملك بيتا صغيرا بغرفتين صغيرتين. كان الأهل يحتلون غرفة و كل الأطفال غرفة أخرى. كنا ننام معا بناتا و صبيانا. في يوم دلني ابن عمي كيف نفعل. ثم بدأت أحب الموضوع و عندما كان أبي يسافر على المركب كنت أهرب من البيت. كنت أحس بالحرية، أو بقليل من الحرية. ثم في يوم خطفني

صبيان من حي سينكين و حبسوني في قلعتهم - باكانجاكي نجاي . قضيت هناك أسبوعا و نصف. كان غريبا. كانوا كلهم ينامون معي. ثم هربت يوما و لم أرجع إلى البيت. و الآن كبرت. أعرف الحياة. إنها صعبة. و خاصة عندما كان علي أن أعيش وحدي. ثم قابلت مالو، امرأة *ندومبا* في سوق ليمبا. أخذتني عندها لأنه لم يكن بإمكاني أن أرجع إلى البيت. بدأت أعمل معها. أنا جميلة و شابة. سرعان ما أصبحت ناجحة في العمل. كانت تأخذ المال و تعطي لي أكلا و تشتري لي أشياء و لبسا. كان الرجال يحبونني لأني شابة و صدري جميل. و لكن عندما أفكر في كل هذه الأشياء أشعر برغبة في البكاء. هذه هي الحياة. هذا الماضي. الآن أنا *ندونية*. يحبني البيض و أنا أفعل ذلك من أجل المال. أحب البيض لأنهم لا يضربونني. ندخن و نرقص و نلهو، أحياناً مع اثنين أو ثلاثة. يدفعون جيدا.

أدت مشكلة المواصلات في المدينة إلى حركات سكانية إلى بلديتي كينتامبو وبارومبو، اللتين تربطهما بوسط المدينة طرق رئيسية و نظام مواصلات منتظم. و قد تسبب طلب السكن هذا في ارتفاع في قيمة أسعار الإيجار مما أدى بدوره إلى انتشار ظاهرة السمسرة وتبعتها، من أول 1993، ظاهرة *الهروب الإداري*. يحصل السمسار مقابل خدماته –البحث عن سكن– على ما يعادل شهرا من الإيجار يضيفه الزبون على الضمان. يقدم *البانا ماي* صاحب بيت مزور للزبون ثم يختفون بالمال. يتفق آخرون مع عسكريين و ينظمون معا سرقات و اعتداءات مسلحة. باختصار أي شخصية شابة قادرة على ارتكاب "عملة" و على الهروب بدون أن يتم القبض عليها أو تتعرض لمتابعات من قبل البوليس أو الضحية فهي *موانا ماي*.

الكرانور Kraneurs (أكثر من 30 عاما)

تأتي هذه التسمية من كلمة "كرانار" kraner التي تعني *بالايدوبل* "الصعلكة، الهيام و الزيارة للأصدقاء". تدل على كل شاب بدون عمل و لكن يحب الموسيقى و الرقص و النساء المتحررات و اللبس الشيك. ينظم هذا الشاب، رب أسرة، عصابات *البلادوس* الشباب التي يسيطر عليها و التي يخصص لها عمليات السرقة و مهاماً أخرى. إنه محترم و لكن لغته المليئة بالكلمات البذيئة تفضحه. البعض منهم *نجيريبا* قدماء تحولوا إلى *التهريب* ، أي استغلال و ملكية و شراء و بيع منتجات منعتها الدولة و الجهات المتخصصة الأخرى. في غالب الأحيان هذا زئبق و ألماس و ذهب و مخدرات و كوبلت، الخ. يعيش *الكرانور* أيضا من النصب و العمولات على صفقات الشخصيات المهمة. في غالب الأحيان يكون هؤلاء صغار عرفهم به صغار آخرون. و يحتوي تنظيم "العملية" على مرحلتين أساسيتين: التفكير أو المهمة mission ثم التنفيذ أو coop من coopérerأو coopération. في أغلب الأحيان *الكرانور* هو شخص مسؤول عن تجنيد *البلادوس* و *النجيريبا* لتنفيذ مشروعه. يصفه الأقرباء منه بتعبير *ازا صوفي* *aza mystique*: لا أحد يعرف مصدر رزقه و لكنه لا يتعب أبدا.

الشباب في عالم العنف

يتخذ عنف الشباب العلني أشكالا مختلفة سندرسها الواحدة تلو الأخرة: العنف ما بين شباب الشارع و عنف الشباب الذين يرتادون الزي العسكري و العنف الفدائي (عنف الميليشيات السياسية) و العنف ضد الضعيف و الفقير و العنف الرمزي و اللغوي و العدالة الشعبية كعنف و العنف ضد الممتلكات العامة و الخاصة و العنف في عالم الدعارة و المخدرات. و قد جمعناها في هذه الأبواب

المختلفة لنتفادى التكرار لأنه لا يوجد فصل واضح ما بينها : فهي بقدر كبير على المسيرات الفردية و الأوضاع الاجتماعية و الأسرية، كقصة بيدوس:

بيدوس (حرس مدني)

ولد بيدوس سنة 1970. كان أبوه عجوزا عندما ولد، آخر طفل في أسرة مكونة من سبعة أطفال: بنتان و خمسة صبيان. أحيل أبوه إلى المعاش و أمه تاجرة فتحت *نجاندا* (بار سري أو لا) حيث تبيع مشروبات كحولية و *مابوكي*، سمك طازج تم تحضيره في ورقة واسعة. أختاه الاثنتان "امرأتان حرتان" و أمان عزباوان. سنة 1985 يكتشف الجنس و يترك الدراسة. تزوج أبوه من امرأة جديدة بدون أن يطلق أم بيدوس. و أخذ هذا الأخير في سرقة الدخل و السفر ما بين مدينتين مع المومس و العراك في البارات. إنه يحمل آثار ذلك على جسده. في 1988 يأمر أخوه الأكبر، و هو طبيب، بالقبض عليه و بإدخاله الحرس المدني (فرع متخصص و مسلح من فروع الأمن إلى جانب الشرطة العادية). بعث في كيبومانجو على بعد 10 كم من كينشاسا للتدريبات ثم هرب ببندقية و مسدس. إنه يعرف أنه مطلوب القبض عليه و قبض عليه فعلا جنب ساحة الانتصار أثناء سرقة مسلحة في 1991 و رمي في السجن. اعترف أنه اعتدى على مارة و أخذ منهم محفظتهم. ينكر أنه ينتمي إلى عصابة من العصابات.

العنف ما بين شباب الشارع

هناك وجوه مختلفة للعنف الذي يسود في عالم شباب الشوارع. و لكنه يرجع دائما إلى فرض إرادة شخص واحد على مجموعة أو إرادة مجموعة على أخرى، على حسب هراركية من أعلى إلى أسفل. إن العنف داخل طبقة سن

معينة أقل من هذا الذي نجده ما بين طبقات مختلفة. و يرجع الأول إلى علاقات ما بين أنداد داخل العصابات و يرجع الثاني إلى ممارسة سلطة الأكبر على عصابة من الأصغر سنا. تمارس في غالب الأحيان الاستغلال، كما رأيناه بمثل *الكرانور* الذين يجندون الأصغر سنا و يخصصونهم لعمليات سرقة أو لاعتداءات أو لبيع الأشياء المسروقة.

تنتمي أيضا قوادة الأهل أو الكبار الآخرون الذين يسيطرون على أرباح البنات و البياعين الصغار إلى هذا المنطق: عندما يفشل هؤلاء الأطفال في "ضربة" أو يرجعون بلا شيء، يعرضون للعنف و الإهانة.

أما بالنسبة لعصابات الشارع فإنها في غالب الأحيان مستقلة بعضها عن بعض و تتعارض فيما بينها. تعمل في أماكن لا يمكنها أن تتجاوزوها بدون عقاب، خاصة عندما يظهر أن النشاطات التي تقوم بها مربحة.

عنف الشباب ذوي الزي العسكري

في الزي العسكري، يشكل الشباب منذ 1961 أهم جزء من المجندين و من رجال قوات الجيش: فقد استمر الجيش ما بعد الاستعمار على نفس منطق التجنيد الاستعماري الذي كان يعتمد على تجنيد الشباب بدون عمل. من خلال هذا نجحت في أن تبعد طبقة بحالها من السكان و لا تعتمد إلا على عدد قليل جدا من المتطوعين، حتى بالنسبة للضباط. و منذ 1975 تم تجنيد عدد كبير من الضباط كرجال ميليشيا في نهاية دراستهم الجامعية و يحمل جزء من هؤلاء المرارة تحت الزي. و كما كان يحدث أيام الاستعمار تجند هيئة الأركان العامة من خلال الإعلان المفاجئ "لعملية حصار" مقدمة رسميا ك"القبض على

الخارجين على الشرعية" في المدن. هكذا جند الجيش في 1967 و 1970 و 1973 و 1976 عاطلين شباب من كنشاسا و لومومباشي، رحلهم إلى معسكرات تدريبية في ايكافيلا و كوتا كولي في الايكواتور و كيتونا في جنوب الزائير و في معسكر كابالاتا الضفة اليسارية و في كيسانجاني. و لم يكن بإمكان هؤلاء الشباب أن يهربوا لأنهم لم يعرفوا المنطقة. و لكن مع ذلك، كل الذين تم القبض عليهم في 1976 و 1979 و تم ترحيلهم إلى لوكاندو و في المانيما، على بعد أكثر من 900 كم من كنشاسا رجعوا إلى المدينة و هم يسببون الرعب طوال مسيرتهم. قد تم إخفاء هؤلاء العمليات أحيانا تحت غطاء مشاريع زراعية لم تنفذ أبدا.

إن العساكر إذا شباب يحسون بالمرارة بشكل مضاعف: لأنهم تركوا حياتهم في المدينة و لأنهم تعلموا كره السكان الذين كان من المفترض أن يحمونهم. فعندما تأتي الفرصة يمارسون العنف لأن مهنتهم غير المعترف بها اجتماعيا جعلت منهم هامشيين و مرفوضين من مجتمعهم. يمارسون العنف ليس فقط لأنهم مورس عليهم العنف و لكن أيضا لأنهم يعيشون في ظروف غير إنسانية في السكن و يقبضون مرتبا هزيلا و لا يدفع دائما منذ 1990. كان هذا المرتب يصل إلى حوالي دولار واحد في نهاية 1996، يشكل هذا المرتب إشارة خضراء لممارسة العنف في مدينة تبلغ ثمن زجاجة البيرة فيها دولارين و حيث المال يشكل مفتاح "*الجو*" و يشكل حلم أي رجل شاب.

إن الجندي الشاب مسجون في إحدى المعسكرات في وسط المدينة و ليس في إمكانه أن يشتري أي شيء بمرتبه و عليه أن يكتفي بحسد الفخامة و التكنولوجيا التي تظهرها البرجوازية الكنشاسية المتغطرسة. و العديد من الجنود الشباب فضلوا، في ظل هذه الشروط، أن يستخدموا الأسلحة و تكنيك المعارك ضد السكان في ظرف يعتبر فيه المدني "معزة" لأنه لا يمشي في الطابور و حيث "سرقة زوجة مدني" هي بمثابة تعليمه احترام الزي العسكري و عناصره

الذكورية. يمثل العنف بكل أشكاله، بما فيها اللاأخلاقية و الفساد، منطق عمل بالنسبة للعسكري الشاب.

و ازداد عنف الشباب تحت الزي العسكري بسبب رغبة الحكم -الذي تم إسقاطه- في إدخال عناصر شابة إلى الجيش. و كانت تخبأ هذه الرغبة في شكل التخلصات العديدة من ضباط كانوا يهددون السلطة الدكتاتورية عندما كانوا يحصلون على احترام و إعجاب القوات. هكذا رأى الجيش فروعه المختلفة تضاعفت الواحدة تلو الأخرى من خلال فرقة جديدة أدت إلى اختفاء القديمة: فرقة كامانيولا من 1976-1978 تم تبديلها بكوتا كولي في 1983 التي تم تبديلها بالحرس المدني في 1986 و أخيرا تم تبديل الحرس المدني بفرقة الرئاسة الخاصة سنة 1989. و هذه الأخيرة كانت تجمع أفواجا مختلفة مشكلة من أعضاء من اثنية الرئيس السابق موبوتو. و كانت هذه الفروع العسكرية المختلفة تعيش في كنشاسا و في ضواحيها. و كان التعاون العسكري الفرنسي قد أعد فرقة جديدة من قوات المظلات في معسكر CETA جنب مطار نجيلي: هؤلاء الشباب هم الذين سيرتكبون نهب 23-24 سبتمبر 1991. في 1993 تقوم فرقة الرئاسة الخاصة DSP بليلة "السكاكين الطويلة" بقتل عناصر الفرق الأخرى بسبب "تمرد سياسي" و محاولة انقلاب في صالح المعارضة. و هذا الرعب في قلب القوات المسلحة نفسها تقوم به عناصر شابة دائما.

و بعد إعادة بنائه في 1989، خلق الجيش لنفسه قوة تدخل سريعة و أمنية، قوة التدخل الخاصة كانت مهمتها أن تنتشر في كل مكان و تنشر البلبلة و تعاقب سريعا. و كان هذا الفرع الجديد من القوات الخاصة في المدينة المنبثقة من الفرقة الرئاسية الخاصة تسببت في الرعب الذي أصاب كنشاسا أثناء نهب يونيو 1991. كان هؤلاء الشباب المدربون في كوتا كولي و في كيبومانجو يقتلون بالسلاح الأبيض. تدخلوا أكثر من مرة في جامعات كنشاسا. اغتصبوا و ذبحوا

طلابا في المؤسسة الدراسية الوطنية و في جامعة كنشاسا (حوالي 200 قتيل) في 1989 و جامعة لوبومباشي في مايو السنة التي تلت ذلك.

و يرجع عنف الشباب في الزي العسكري إلى سببين أساسيين: رغبة الجندي الزائيري في البقاء و عمليات الإرهاب التكتيكية في المدينة. (J.F Manzikala, J. 1967-1971). إن العنف من أجل إبقاء العمل العسكري مجدداً في أفعال معزولة لرجال يرتدون الزي العسكري يهجمون على مارة من الكنشاسيين بهدف نشلهم. و نادرا ما تقع هذه الأفعال بعيدا عن معسكرهم لأن العسكريين أيضا يمكن أن يعتدى عليهم من قبل السكان. حتى و إن كانت هذه الأفعال معزولة و فردية فقد ازدادت معدلاتها مع التحول السياسي و بعد ارتفاع الأسعار الذي أكل تماما قدرة الموظف و العسكري على الشراء. و بالعكس فان عمليات الإرهاب السياسي تضاعفت ابتداء من 1985، مع زيادة السخط العام و تزايد المعارضة السياسية. استخدم موبوتو شباب القوات المسلحة و قوات الأمن لينسي السكان فكرة التعددية الحزبية من خلال اختطافات و ضغط و قبض تعسفي. و أصبح التعذيب أقوى سلاح لديه. سنة 1990 بعد الإعلان عن التغيير الديمقراطي للحكم استخدم هؤلاء الشباب أثناء "عمليات عقابية" ضد مناضلي أحزاب المعارضة. هؤلاء الشباب المسلحون في سيارات، قاموا بكل فرح بالاعتداء على منازل الزعماء السياسيين، و اغتصبوا زوجات و بنات المعارضين أو الأنصار القدماء لموبوتو. و في 1991 تم تشكيل فرع خاص "البوم" كان أعضاؤه ينفذون العمليات باستخدام سيارة الجيب ميتسوبيشي بالزجاج المصبوغ: يخطفون و يقتلون و يفتخرون بذلك في البارات. في 1994 نجح السكان في العثور عليهم ومارسوا معهم أيضا العنف كنوع من العدالة الشعبية.

عنف الميليشيات السياسية

كان العنف الفدائي يشكل جزءا من الحياة اليومية في كنشاسا أثناء مباريات كرة القدم ما بين الفرق الثلاثة فيتا كلوب Vita Club و إماما موتيما بيمبي Imama Motema Pembe و ف س بيليما FC Bilima منذ 1966 و لكن لم يكن يؤدي إلى موت أرواح. كان ينحصر في رمي حجارة على الملعب و سب عدد من المتعصبين للاعبي الفرقة المهزومة و لكن تسيس العنف مع معارضة الحكم الدكتاتوري في يناير 1988 ثم أصبح أكثر راديكالية في 1990 بعد موت ال MPR (حزب-دولة)، لغاية 1992، لم يكن لدى أي حزب سياسي باستثناء ال MPR اتحاد شبابي أو ميليشيا منظمة في العاصمة. كان بولامبا بولا هو الذي يتزعم ميليشيا الMPR، و هو عقيد درس في الاتحاد السوفيتي مناهج الإرهاب في المدن. كان هذا الضابط يتجول مع عصاباته الشبابية المسلحة في كنشاسا. اعترف أنه المسؤول عن إغلاق مطابع جرائد *إيليما* Elima و*أوموبا* *Umoja*. كان يعتدي على أي تجمع شبابي يتجاوز أكثر من 4 أفراد. و كانت هذه الميليشيا تتشكل من عناصر من قوة التدخل الخاصة (FIS) و من قوات الأمن العسكري زائد عناصر من ال JMPR القديم. كانت نشاطاته تقتصر على مدينة كنشاسا. في 1991 يجرح بولوبا طالبا حتى الموت في مدرسة التجارة العليا أثناء شجار على تاكسي، مسببا بذلك كراهية الطلاب الذين حرقوا بيته. و ستقتل نفس الميليشيا ج.كابيندا في مقر ال UFERI في كنشاسا و تقذف بيت ف.كيباسا-ماليبا بالقنابل، قاتلة ابنه سنة 1992. و أخيرا ترتكب أفعال مشابهة لتلك التي قام بها الجيش أثناء مذبحة الطلاب في لوموباشي (1990).

و يجبر العنف في العاصمة الأحزاب الأخرى على تشكيل ميليشياتها الخاصة للدفاع عن نفسها سنة 1991. و تتشكل من شباب عاطلين، من 20 إلى 30 عاما، و لديها مهام الدفاع عن الزعماء السياسيين بدلا من تنظيم المظاهرات و إعداد

اتحاد شباب الحزب. و بالفعل كان هدف الميليشيات السياسية مواجهة اعتداء القوات المسلحة التي كانت تمنع بشكل منتظم الأحزاب السياسية المعارضة لل - MPR– الذي كان موبوتو تولى زعامته من جديد بعد مايو 1991 – من تنظيم مظاهرات و مسيرات شعبية، إلخ. كانت تواجه قوات الأمن و ميليشيا ال MPR. كانت تحمي منازل زعمائها التي لم تكن تحظ بأي حماية شرعية ضد اعتداءات الجيش. في أول جزء من سنة 1996، انشقت الUDPS إلى جناحين: جناح ي.تشيسيكيدي و جناح ف.كيباسا-ماليبا الذي لم تسفر المواجهة بينهما في الشارع من خلال ميليشياتهما عن ضحايا حتى إذا هزمت الميليشيا التشيسيكيدية أثناء هذه المعركة.

العنف الموجه ضد الضعيف و الفقير

العنف الطلابي

ينتج العنف ضد الطلاب من المواجهات ما بين الشرطة و الطلاب. منذ 1969 ينظم العنف و الاعتداءات و الهجوم العسكري حياة المدن الجامعية في كنشاسا التي هي مسيسة و معروفة لدى قوات الأمن. و و صلت هذه الأحداث إلى ذروتها في 1988 و 1991. بدون ذكرها تفصيليا، يبدو لنا من المفيد أن نذكر بعضها التي يبقى معناها قريباً من الصدمة بالنسبة للطلاب و لأهلهم و لسكان كنشاسا. أدت أخيرا هذه الأحداث التي كانت ذات أصل سياسي إلى هجمات متتالية و إلى إغلاق المدن الجامعية من قبل الجيش. في أبريل 1991، ظهر القمار –*البيندومانيا* *bindomania* – الذي كان يتطور في المدينة و الذي كان يجذب أغنياء و فقراء المدن الكبيرة في الجامعات مع أموال كان يقال عنها أنها

تأتي من رئاسة الجمهورية. قد كان هدف هذا الحدث كسر المعارضة السياسية المتجذرة بقوة في هذا الوسط.

رفض الطلاب متابعة المحاضرات لمدة شهرين، كانوا مشغولين فيها بلعب القمار. و أثناء فترة ازدهارهذه الظاهرة كان يمكن لكل طالب أن يصبح "مليونيرا". سمى الخيال الشعبي وسط الأغنياء المزورين الجدد هذا "كويت على ضفاف كنشاسا". ثم جف النبع، آخذا كل ما حصلوا عليه. و قد تسبب وقف القمار، الذي سمي *نجوما*، أي الثعبان الساحر، في اندلاع العنف الطلابي ضد السلطات الوطنية و الأكاديمية. و عندما حاولت الشرطة أن تضع حدا لهذه الأحداث، طولبت باتخاذ موقف. و قد استولي الطلاب على الأتوبيسات و ساروا في شوارع العاصمة محتجين و صارخين "تطوع". بعد هذا دخل الطلاب في لعبة القط و الفأر مع الشرطة. دامت هذه اللعبة لمدة شهر حتى بدأت مفاوضات حول المنح و بداية المحاضرات.

و بعد سنة من الإعلان عن التغيير الديمقراطي، أصبح تسييس الطلاب هو الشغل الشاغل للسلطة القائمة. بدأ العنف عندما ضربت مجموعة من الطلاب أعضاء من مجلس الشعب الزائيري، قولا بأنهم كذبوا على العالم كله فيما يتعلق بمذبحة طلاب لومومباشي حيث أعلنت لجنة مجلس الشعب عن مقتل طالب واحد فقط في الوقت الذي كان الكل يعرف أن مذبحة حقيقية قد وقعت. و تسبب رد فعل الحكومة القوي و طلوع الجيش على جبل جامعة كنشاسا لعقاب "هؤلاء الأطفال العاقين" في أحداث متسلسلة في الأحياء التي تقع فيها الجامعات. فتحرك طلاب جامعة كنشاسا ضد رئيس الجامعة و دمروا بيته. اعتدوا على أساتذة كانوا متهمين – عن حق – بالانتماء إلى قوات الأمن. و نجحت هذه القوات في تحويل هذا الاعتداء إلى صراع بين الانتماءات العرقية المختلفة، ما بين "أهل الشرق" و" أهل الغرب".

و اندلعت معارك حقيقية بين الطلاب و العسكريين لأن الشرطة لم تنجح في وقف موجة العنف المعدية التي أتت من الجامعات إلى وسط المدينة. و أخذت المواجهة أشكالا غير متوقعة. فاحتل الجيش و الحرس المدني كل المعاهد العليا لمنع الطلاب من التجمع و من تنظيم مسيرة نحو المدينة للمطالبة بتنحي موبوتو و حكومته عن السلطة. و ألقى طلاب المعهد العالي للتكنولوجيا التطبيقية "كوكتيل مولو توف" على الحرس المدني. أخذوا عضوا في هذا الفرع المسلح و لفوا حول جسده عجلة أشعلوا النار فيها. بعد هذا بأسبوع، قفزت قوات المظلات على هذا المعهد ليلا و احتلت الجامعة النائمة حيث الطلاب العزل المتعبون و انتقمت بالنهب و بتخريج الطلاب بالهراوات و الأحزمة تحت نظر الضباط. و تم إغلاق المعهد لمدة شهور عديدة ثم، في سبتمبر التالي، تم إجبار الطلاب على إعادة التسجيل لكي تقتص العدالة من زعماء هذا العنف.

استغلال مناسبات العزاء

منذ حوالي عقد، أصبح موت شاب أو شابة فرصة لبعض الشباب الذين يرافقون الميت إلى المقبرة أن يعنفوا المارة الذين يقابلون الجنازة أو أن يأخذوا نقودهم عنوة. فعندما يموت شاب، يجب بالفعل على بنات حيه أن يدعكن وجوههن بالطين و الأمر ينطبق في حالة الفتاة أيضا. هذه العادة معروفة باسم عادة كيبو *kebo* ،وكانت مقتصرة سابقا على أسرة الميت، و كان يفهم العزاء كاشتراك من الزوج أو الزوجة في رحلة روح الميت إلى بلد الأسلاف. تحولت بعد ذلك هذه العادة الدينية إلى مناسبة "تجارية" وفرصة للسطو على المارة.

في البداية كانوا يعتدون على البنات و يسخرون من هذا التقليد : فعندما ترتدي فتاة ما فستانا جميلا ، تفاجأ به ملطخا بالطين. ثم بدءوا يطالبون بتعويض مالي عندما كانت البنات ترفض تلطيخ ثيابهن. ثم تدهورت هذه العادة في

نهاية المطاف وصارت نصبا دائما على المارة في الشارع المقام به العزاء، و قد اختفت قيمة عادة *الكيبو* الرمزية تمامًا، و حل القطران القديم محل الطين، الذي كان أقل فعالية لتشجيع المارات على الدفع.

من الآن فصاعدا، كلما مات شاب أو فتاة يتأثر الحي كله. وتنظم مجموعة السارقين الشباب هذا البحث بالقوة عن المال. تنظمها أثناء الجنازة، من المنزل إلى المقبرة و في طريق العودة. إنها مشكلة تتشكل من شباب يغنون أغاني قبيحة و انتقامية. و في غالب الأحيان يتم استخدام المال المنهوب لشراء مشروبات كحولية بدائية أو حشيش أو أشكال المتعة الأخرى.

طرد التوتسي

قبل حركة التغيير الديموقراطي بكثير، كانت هناك اضطرابات ما بين التوتسي الذين كانوا يسموا "الرونديين" في كنشاسا و بقية سكان المدينة. وقد أدت سياسيات موبوتو المشجعة للفروق الاثنية إلى تحويلهم إلى كبش فداء.وبعد مرسوم 1981، فقدوا الجنسية الزائيرية التي حصل عليها التوتسي عليها "جماعة" سنة 1972، بدون إحصائيات أو مطالب رسمية. و في 1992، لم ينجح المؤتمر الوطني السائد في أن يجد حلا منصفا للجميع عندما أغلق أبوابه.

بعد ذلك بأربع سنوات، خسر الجيش الزائيري في مواجهته للمتمردين البنياmولانج، زائريين من أصل توتسي، هؤلاء الذين حملوا السلاح للدفاع عن حقوقهم ، بمساندة من الدول المجاورة. تزامن هذا التمرد مع اعتداء جيش تحالف القوى الديمقراطية من أجل تحرير كونغو-كنشاسا في شرق البلاد. و تسبب هذان الاعتداءان في ازدياد العنف اللغوي في سبتمبر 1996 في كنشاسا: حيث تم اتهام رئيس الوزراء من أصل توتسي في مجلس الشعب بأنه أجنبي قام

بنهب الممتلكات الوطنية و اندلع الغضب الشعبي ضد حكومته. في نوفمبر شجع سقوط مدن الكيفو الشباب على النزول إلى الشارع ضد التوتسي. تم إيذاؤهم و زوجاتهم واغتصبت بناتهم .هربوا إلى برازافيل. أملاكهم نهبت و احتل الشباب بيوتهم. لا أحد يمكن أن يؤكد أن هناك أعضاء في حزب سياسي معين قادوا هذا العنف. إن الأرقام المتداولة متناقضة، متراوحة ما بين 2000 و 3000 شخص تعرض للعنف واَلإهانة. و يشير هذا إلى العنف الذي وقع ضد الكنغوليين في 1987، و أيضا إلى الموجات السابقة في 1964 و 1971 ضد الماليين و الغانيين و السنغاليين المتهمين بتصدير الألماس الممنوع.

العدالة الشعبية

إن عدم الأمان و نقص الثقة في العدالة الوطنية الفاسدة شجع السكان على تنفيذ العدالة بأنفسهم، فيما يختص السرقة و الاغتصاب و الاعتداءات المسلحة و خاصة إذا تمت ليلا. عين شباب الحي أنفسهم بشكل تلقائي كحراس. لأنهم جاهزون و متضامنون في أفعال عنفهم العقابي الموجه ضد معتدين شباب آخرين، عسكريين أم لا. ليس لسارق ليلي أو معتد يدخل في بيت فرص كثيرة للخروج حيا لو فاجئه أو ضبطه الضحايا. هؤلاء يطلبون الإغاثة و يهرب السارق و إذا تم القبض عليه لا يفكر في إبلاغ الشرطة. يطلب الشباب نفطا أو بنزينا، مكواة ساخنة أو زيت مغلي. يضرب المذنب و"يكوى " جسمه حسب التعبير السائد. ثم يصبون نفطا في أذنه و يتركونه لمصيره. و المؤكد أن المذنب نادرا ما يتحمل هذا التعذيب. في نظر الناس هذا العقاب أفضل من مقابلة نفس المعتد اليوم التالي، بعد الإفراج عنه من قبل شرطي مرتشي.

إن حوادث الطرق تسبب أحيانا نوعا آخر من العدالة الشعبية حيث ينقلب انتقام المارة ضد سائق السيارة التي صدمت أحد المشاة. الشباب الذين رأوا الحادث

يجرون إلى المكان و يرمون السائق بالحجارة و يدمرون السيارة بدون إعطاء أي مساعدة للجريح. أحيانا يموت السائق في حين أن الشخص المصدوم يعيش: هذا ما حدث للأستاذ كاديما كاموليتا.

موت كاديما كاموليتا

في 1989 كان الأستاذ كاديما كاموليتا يسوق سيارته و معه زميلان آخران. في حي مبينزا خبط طفلا صغيرا كان يعبر الطريق على عجل . أوقف كاديما السيارة و أراد أن يغيث الطفل. أمره زميلاه بأن يكمل و بأن يلجأ لأقرب نقطة شرطة. رفض كاديما أن يترك هذا الطفل فاقدا الوعي و خرج من سيارته المركونة على بعد 10 أمتار من مكان الحادث. عندما تقدم من الطفل، أخذ شاب– بائع في محل قريب حجرا و خبط رأسه بعنف. مات كاديما في الحال. وقف الطفل، شاعرا بدوخة خفيفة ثم اختفى. قبضت الشرطة على الشاب و حولته للمحكمة بتهمة قتل.

لذلك فلا أحد يتدخل من أصحاب السيارات أبدا لإغاثة جريح أو لانتظار محضر الشرطة. بالعكس، فإن السائق الأمين الذي يقف لن يخرج حيا إلا إذا هرب أو لجأ إلى أقرب نقطة شرطة.

"الهروب الإداري":

ظهر هذا التعبير الجديد في 1993 في كنشاسا. هذا الإجراء موجود في القانون الزائيري . إنه يسمى "طرد إداري" و موجه ضد المستأجرين غير القادرين على الدفع. لا يحدث ذلك إلا بعد إجراءات طويلة لمدة شهور عديدة تنتهي بنطق بالحكم من محكمة السلام. و حل "الهروب الإداري" محل هذا الإجراء وهو أكثر سرعة، و يتم عبر عنف الشباب في إطار عدم الشرعية. إن ارتفاع الأسعار السريع و ندرة الوحدات السكنية دفع الممول أن يطلب من المستأجر "مقدماً" يتراوح بين 6 أشهر إلى سنة ويدفع بالدولار. وعندما يتم دفع الإيجار بالعملة المحلية، يعيدون ضبطه حسب سعر الصرف في ذلك الوقت.

و أدت هذه العادة التجارية إلى المضاربة و الضغط. يشن أصحاب البيوت حربا ضد المستأجر الذي يريدون إخراجه بدون أن يحترموا القانون أو أن يبدلوه بمستأجر آخر عندما يحتاجون مالا. و في مقابل رشوة يحصلون على ورقة موقعة و مختومة من البلدية لطرد هذا المستأجر غير المرغوب فيه. و يدفعون مبلغا من المال لعصابة شباب من الحي لكي يخرجوا غير المرغوب فيه هذا بكسر بابه و رمي أمتعته في الشارع. تحاول الدولة بصعوبة أن تكافح هذه الآفة التي لا تمثل سوى وسيلة لملء محفظة أصحاب البيوت من النصابين.

العنف الرمزي و اللغوي

أخذ العنف الرمزي و اللغوي يزداد. هذا النوع من الممارسات التربوية – *مبواكيلا mbwakela*– التي كانت في زمن سابق تخص فقط انتقاد التصرفات المشبوهة اجتماعيا،تحولت منذ 1970 بموسيقى الشباب التي تعتمد و تضخم في

كثير من الحالات هذه المشاهد من شباب الشارع. و يخلق الكنشاسيون الشباب الذين يتحدثون جيدا *الاندوبل* *l'indoubill* كلمات شتائم قبيحة مأخوذة من لغات أخرى لإنتاج تعبيرات شعرية تدخل في الأغاني. هكذا أصبحت الموسيقى عنصرا يشخص بالرقص عنف الأغاني الشفوي. و كثيرا ما يكون هذا العنف اللغوي موجهاً ضد الأفراد أو المجتمع و طبقاته المختلفة. وتتضمن الموسيقى الكنغولية فقرة، تسمى *سيبيني*، يطلق أثناءها "معد الحفل" -*أتاراكو*- صرخات هي في الحقيقة تعبيرات يتحدى من خلالها الراقصين و الجمهور و المجتمع بشكل عام.

و تنتمي هذه التعبيرات المليئة بالصور و المجازات لحقل الشتائم التقليدية. إنها كثيرة جدا في أوساط أطفال الشوارع حيث يتبادل شابان كل أصناف الشتائم التي يعرفانها. يخترع *البانا شيجي* هم أيضا شتائم يوجهونها للمارة عندما يفشلون في الحصول على ما يريدون. فيحولون حملات تسولهم إلى حملات من الشتائم التقليدية. جزء من كلامهم مرتبط - كصرخات في الموسيقى الزائيرية- بمعنى تم حجبه أو تخفيفه. إن الأوركسترات كايكو لانجا لانجا من نيوكا لونجو و الأركسترا أنتي شوك Anti-choc من بوزي بوزيانا و مملكة باكوبا Empire Bakubaمع Pépé Kallé بيبي كالي و دجونا مومبافو و أيضا كوفي أولوميدي و الحي اللاتيني Quartier latin هي المعروفة أكثر باستعمالها الشتائم التقليدية و العنف اللغوي أثناء أدائها. فيما يلي عدة أمثلة لهذه التعبيرات و الصرخات:

صدام حسين. و تشير هذه *الصرخة* إلى كل التجاوزات و أشكال العنف التي كان يرتكبها أحد أبناء موبوتو (توفي الآن) في المجتمع الزائيري لأنه كان يمتلك مالا و سلاحا و سلطة: هذا الابن الأصغر الذي ولد من علاقة أولى و هذا الابن الأصغر هو ضابط قديم كان يعيش على الحصانة التي كان يضمنها له وضعه

كابن للدكتاتور. كان يغتصب و يقتل و يستولي على كل ما يشاء كما تدل على ذلك الشهادتان التاليتان:

كونجولو ولد صغير و عنيف. من أيام أتى إلى حينا. تعرفون، إنه ابن موبوتو. كان يريد أن يخرج مع ت. إنها مخطوبة و هي بنت لرئيس أركان. و لأنها رفضته أطلق الرصاص عليها، فماتت. و جرح أمها أيضا. عندما رجع أبوه، أخذ بندقيته و بحث عن *صدام* حسين و أطلق عليه النار و لكنه لم يصبه. و أتى الجيش للقبض عليه و لا نعرف ماذا حدث له. أخوهماندا هو الذي أتى بالجيش من أجل الانتقام.

إن *صدام* حسين "صاحب مزاج" كبير. إنه كان يريد أن تطلق الأوركسترا وينجي موسيقى Wenge Musica **اسمه [تستخدم اسمه في *صرخاتها*] و لكن هؤلاء الشباب رفضوا. أمر بالقبض عليهم ثم أخذ منهم آلاتهم. بعد ذلك قابلوا. هكذا الأمر، إنه على علاقة جيدة معهم الآن. هم أصدقاؤه. كان يتعاركون على نفس البنت مع ج.ب مبيانا و لكنه كسب: إنه ولد ابن آوى الكبير.**

سودا أزا كوسيبالا لا جير، موكونزي أزا كوزيلا لوساكو *soda aza kosepala la guerre, mokonzi aza kozela losako*: **"لا يسعد العسكري إلا أيام الحرب و رئيسه في حالة انتظار للإفراج". و تصور هذه الصرخة علاقات التفاهم ما بين الجندي و رئيسه لسرقة المواطنين. يجب على الشاب في الزي العسكري أن يسرق و يعنف السكان لكي يأتي بالمال لرئيسه. و تقلد الرقصة طريقة مشي العسكري و تحية تعظيم السلام، إشارة الطاعة العمياء للأوامر حتى وإن جاءت متناقضة مع أخلاق الجندي.**

بايانكي بايبي مابابايا وارا *Bayanke bayibi mapapa ya wara*: **"قد سرق *الينكي* *yanke* (هنا *البلادوس*) صنادل المسلمين الآتيين من أفريقيا الغربية". و تشير هذه الصرخة إلى ممارسات ظهرت في 1990. عندما يذهب**

المسلمون إلى صلاة الجمعة يرتدون ملابس فاخرة فيسرق *البلادوس* صنادلهم و يبيعونها في السوق. و تمدح هذه الصرخة هذا العمل الجريء للكنشاسيين التي تجسده الرقصة مشيرا أيضا إلى يأس المسلمين الذين يستنجدون بالله بدون جدوى.

بانا لوندا* : *أو اكوميلا، أو أكوبينا، يا بامبا، يا بامبا *Bana Lunda:* :*Oy'akomela amela, oy'akobina abina. Ya pamba, ya pamba* **"فليشرب من يريد ! وليرقص من يريد. كل شيء بالمجان."! هذه هي ممارسة الشاب الذي يرجع من كاهيمبا أو أنجولا و جيوبه مليئة بالدولارات الأمريكية. ينفق هذا المال على الخمر و النساء و الملابس الفاخرة. البار المفضل لهذا الصنف هو "*الفاتا فاتا*، أي "حوش القرية الكبير" في ماتونجي. و يؤكد اللسان الشعبي أن *البانا لوندا* يكسبون هذا المال بالاعتماد على أعمال الجن. يسحرون البنات ثم يضاجعهن و يستخدمونهن للحصول على "الحظ". هذا هو السبب الذي يفسر لماذا لا يصبح هؤلاء أغنياء و لماذا تصبح علاقتهم بالمال سيئة. إنهم ينفقون كل شيء من أجل لذة الجسد.**

ماستا أبونداكا تي! *Masta abundaka te!*: **" لا يتعارك شاب مهذب" [حتى إذا استفزه شباب الشارع]. و تشكل عودة هذا التعبير القديم لأكثر من** 40 **عاما محاولة منعزلة للرد على ازدياد ظاهرة العنف في مدينة كنشاسا. إن المثلث بيبي فيلي** Pépé Felly ، **لوسيانا و كارليتو حاول أن يكافح ضد هذا التيار. دخل في الجدل العكسي مستخدما منطق الشارع نفسه: يستخدم كلمة *ماستا* كصورة معارضة لصورة *صدام حسين* و صور *البانا لوندا*. عنوان الأغنية هو" فليسقط العنف".**

ونجد في هذه الرقصات نموذجا ثقافيا؛ حيث يقدم عنف الشباب كمثل و نموذج للنجاح في المدينة، و أيضا كنسق أخلاقي لقيم الشارع المضادة التي يكتسبها الشباب و لا بد من ملاحظت هذا، كمحاولة لخلق مسافة ساخرة إيجابية.

العنف المرتبط "بالجو" و بالمخدرات.

إن عصابات من تجار الألماس أو المنتجات النفطية أو الآخرون الذين يرتدون الزي العسكري و يتراوح سنهم من 20 إلى 30 عاما، يترددون على بارات مختلفة ينفقون فيها المال المكتسب من خلال عمليات العنف و النصب و السلب المنظمة ضد المدنيين. يقوم *البانا لونجا* بسفريات طويلة تعرضهم للخطر في أنجولا، حيث يبادلون منتجات مصنوعة (راديو هات و تليفزيونات و موسيقى كنغولية على شرائط كسيت و فيديو و اسطوانات) في مقابل الألماس الذي يبيعونه في كاهيمبا أو كنشاسا.

و نظم بعض العسكريون الشباب، الذين لا يحصلون على مرتبات كبيرة، أنفسهم كحراس - *chocs* **– للأغنياء السياسيين أو للبيض الذين يدفعون بالدولار. و هم كحراس يستخدمون الزي العسكري و سلاح الخدمة كرمز للسلطة و كوسيلة إقناع لإبعاد المعتدين المتوقعين. و لكن عند أية "ضربة"، يتفقون مع *نجيريا* أو *كرانور* لإعطائه المعلومات الكاملة عن البضاعة و عن الأرقام المالية و عن مجوهرات السيد الذي يخونونه. تدخل هذه العصابات في "الجو" من خلال إقناع البنات الصغيرات على الانحراف و يبيعون و يدخنون حشيشا. يعيشون حياة تحتل فيها المعارك و الاغتصاب و المصروفات الباهظة مكانا مهما. و يعتدون على أي شخص يريد أن يناقشهم فيما يفعلون أو يسد طريقهم.**

النهب

إن أفعال النهب ضد الممتلكات العامة و خاصة العمارات و محتوياتها لا تعرف حدودا. في الكونغو اختفى احترام الممتلكات العامة عند الشباب. و في حالة عدم وجود حراس عسكريين مسلحين يتم نهب المدارس و المباني العامة الأخرى. يكسر نشالون شباب، بمفردهم أو في عصابات يقودها شخص أكبر سنا، زجاج النوافذ و يسرقون الموبيليا، يتبولون، يفككون الصفائح و النوافذ و المصنوعات الخشبية و أية خامات أخرى موجودة يبيعونها في السوق. و لا يبلّغ الزبائن الذين يشترون هذه الأشياء بأثمان منخفضة عن البائعين و لا يشعرون بالحرج أو بالصدمة: فالطرفان يقومان بعملية مربحة.

و بشكل عام لم تعد هذه الطريقة تصدم أحدا. إن الجراجات و سيارات الإدارة العامة تستخدم كثيرا كمحلات "لقطع الغيار" فيسرق منها السائقون أو الميكانيكيون قطع يبيعونها لمن يريدها. و امتد نهب الممتلكات العامة إلى السيارات الخاصة. عندما تركن سيارة في الأحياء الشعبية، ينشط الشباب حولها: يكسرون زجاجا و يستولون على ما بداخل التابلوه و الأشياء المتروكة على المقعد الخلفي و البدلة المعلقة، إلخ. أحيانا يشفطون البنزين عندما لا يكون محميا بقفل ثم يبيعونه لصاحب السيارة و يتم خلع وحدات الإضاءة و قطع أخرى بسرعة قبل أن يعود صاحب السيارة.

و أصبح هذا النوع من السرقات، الذي كان يحدث في الأصل ليلا، عاديا في وسط النهار و في وسط المدينة حيث يقوم السارقون بأعمالهم بدون أي عقاب لأنهم يهددون بالانتقام من أي شخص قد يبلّغ عنهم. دفعت هذه السرقات أصحاب السيارات لتجنيد حراس شبان يدفعون لهم لتجنب أفعال النهب تلك. و قد تم تحويل حوش بيت البلدية و الشرطة المحلية في لينجوالا و كاتيتي و

باندالونجوا و ليمبا إلى محطات سيارات ليلية. و يدفع أصحاب السيارات ضريبة غير شرعية للشرطة التي تبقي ذلك في الخفاء.

الإطار النظري و النموذج السببي

قد يعطي تصنيفنا لممارسات العنف المختلفة عند شباب الشوارع فكرة تقريبية أولية للتنظير حول هذه الظاهرة. و عندما نفسر عنف الشباب الكنشاسيين في الإطار النظري الذي أتى به ج.جالتوج نرى إلى أي مدى استقر هذا العنف بقوة في الثقافة السياسية في كونغو كما أنه يشكل عنصرا تأسيسيا لثقافة الشارع. و إن المثلث "اعتداء، جريمة و عنف" – حتى إذا اعترفنا أنه في النهاية يحتوي حشوا لغويا؛ لأنه يقتصر فقط على العنف و على عناصره المختلفة – يحتوي الجدل الذي يبني الحياة اليومية في المدينة التي وصلت للذروة مع التغيير الديمقراطي. و قد ازدادت شعبية أفعال كانت في الماضي هامشية و مقموعة و أحيانا مرفوضة من قبل المجتمع بعد عمليات القمع التي قادتها قوات الأمن بقصد نشر إحساس عام بعدم الأمان. و تقوم "فرق الموت" بحملات داخل الأحياء الشعبية باحثة عن معارضين سياسيين. وتدل حملات القبض التعسفي و النهب و الجريمة على قوة السلطة السياسية. وقد تم في البداية الاعتراض على هذه العمليات الإجرامية من خلال عدد من "التعبيرات" عن المقاومة الشعبية ضد عنف الدولة: *"ليا ماتريس"* *"كالمي يتونجا سوزاكوم"* و*"كالمي ايبيكي مونت نجاليما"*.

إن تلك الصور المجازية للمقاومة الشعبية (1980–1990) و حتى إذا كانت تشير إلى قدر من الخضوع السلبي للسلطة السياسية، إلا أنها كانت تعبّر في نفس الوقت عن رسالة تمرد ضد هذا العنف التعسفي و تقييد حرية الرأي السياسية و

الدينية. و من ناحية أخرى، فإن الأزمة السياسية و ندرة الوظائف و البؤس، قد دفع في نفس الوقت شباب قوات النظام و شباب الشارع إلى تفضيل الاعتداءات و الإجرام و العنف (بكل أشكاله) كوسيلة للحياة. و فرضت ثقافة الشارع هذه نفسها وتجذرت- و الناتجة عن أسباب مختلفة و عكسية- كثمرة لاختيار وجودي لجزء كبير من الشباب الكنشاسيين.

و أصبح المثلث "اعتداء، جريمة و عنف"نسيج ثقافة الشارع و أساس النظام السياسي المتدهور،بصورة تحوى مفارقة. وهكذا تسبب هذا المثلث في إفساد مفهوم الدولة حولها إلى وحش قانوني عبر التغيير الديمقراطي و التعددية الحزبية (1990-1996). منذ ذاك الوقت ، ظهر العنف شيئا فشيئا واضحا وكاشفا عن وجهه في الشارع من خلال الشباب في الزي العسكري و عصابات الشباب في الشارع (دائمة أو تلقائية) و الميليشيات السياسية و الطلاب.

نموذج سببي

و تعبر ثقافة الشارع عن فشل السياسات الوطنية للتنمية و إهمال حماية الطفولة بالرغم من إبرام الكونغو الاتفاقيات الدولية المرتبطة بهذه الشريحة الاجتماعية. إن وضع الشباب الكونغولي و ثقافة الشارع لا يشكلان مفاجآت بالنسبة إلى الباحث في مجال الثقافة الشعبية. و تعطي هذه الأخيرة معلومات موثقة أكثر من أي خطاب سياسي أو إحصائيات أو أي تقرير لمنظمة غير حكومية تهتم بهذه المجموعة الاجتماعية. إن الطبقات الشعبية هي التي تبني الثقافة الشعبية بمساعدة لغة و نظام قيم و مفاهيم تعبر عن واقعها. و المجتمع الكنغولي هو- قبل كل شيء -مجتمع "يتصرف" فيه الشعب على كل مستويات تنظيم الحياة الاقتصادية. البرجوازية الوطنية هي الوحيدة التي تعتمد على الدولة لتبقى حية و تعيد إنتاجها حينما يعارض الشعب - من أجل البقاء- الدولة و

يخترع سبب وجوده في جدلية عدم وجود الدولة. إن البرجوازية السياسية التي استولت على الدولة استخدمتها كوسيلة لاغتناء الأقلية و جهاز تسلط و قمع. و على كل محاولة لتفسير ثقافة الشارع و قيمها بنموذج سببي أن تتساءل أولا عن الأسباب السياسية و الاقتصادية التي خلقتها ظروف تاريخية خاصة في الكونغو.

بدأت تظهر دراسات حالات و نماذج لتفسير العنف وأسبابه في المدينة و أفريقيا (انظر إصدارات IFRA خاصة). و لكن التحذير المنهجي لي.أوساجاي E.Osaghaeالذي يقول فيه إن بعض حالات العنف تبقى غامضة حتى بعد تحليل عناصرها الحافزة و إطارها و تاريخها، يدفع الباحث إلى التساؤل. فإن "العناصر المسببة للعنف لا يمكن فهمها إلا من خلال دراسة الحالات" (Osaghae 1994 :41). إن البحث عن العنصر التفجيري "trigger issue" في حالة كنشاسا يدفعنا إلى التفكير عن العنف فيها حسب نموذجين متكاملين: النموذج الواقعي أو "الحدثي" factuel و النموذج الهيكلي structurel. إن النموذج الأول يعطي الأولوية لدراسة الحالات وهو مرتبط بمنهج حيث قد يظهر العنف كفعل موضوع في ظروف معينة و محدد بعناصر بعينها. و يبحث النموذج الثاني عن تفسير عام و متناسق قد يعطي معنى للعنف في العالم اليومي و الوجودي للشباب. و يستخدم إطارا علميا يسمح بفهم العنف في تاريخيته، أي كبناء لا يسيطر الفاعلون دائما على ميكانيزماته حتى إذا كانت هذه الميكانيزمات هي التي تنظم تصرفاتهم. و تتداخل هذه الميكانيزمات فيما بينها و تنتهي ببناء هذا العنف الهيكلي في قلب المجتمع لا باعتباره اعوجاجا أو مرضا اجتماعيا pathologie sociale و لكن كنظام ذو نسق ، يمثل شكلا معترفا به لتلك الممارسات التي تعمل في الجسم الاجتماعي. و يرفض هذا النموذج أي تفسير أخلاقي éthique لشكله.

النموذج الواقعي: دراسة الحالات

إن المجتمع الكونغولي الواعي بحالة الاضطراب الاجتماعي التي يعيشها الشباب و التي يعيشها هو نفسه، خصص لهذه المشكلة ندوات منذ حوالي 20 عاما. في 1978 كانت "مجموعة الأخلاقيين" Société des Moralistes قد اتهمت الأزمة الأخلاقية التي تصيب آثارها الشباب. و كانت ترى أن الأسباب تكمن في عدم توازن المجتمع والإهمال المزري للتربية و التعليم و المال بوصفه قيمة مطلقة (الملكية و السلطة و المظاهر) و افتقاد قيم المطلق و تدهور الوضع الاقتصادي (Amoza 1988 :121-125). في 1989، لاحظ موكواما أن الأطفال يذهبون إلى الشارع لأنهم يلمسون عجز ذويهم عن حل المشاكل المادية و الروحية التي تشغلهم" (Mukuama 1989 :4-5). أما م.ل.موبيا فإنه يتحدث عن العناصر الاجتماعية و الاقتصادية و إهمال الممارسات الأخلاقية أو الدينية عند الأهل وعدم مراقبة وقت الفراغ لدى الأطفال، و حجم الأسرة (أسر كبيرة و تضامن أسري) و نفوذ عصابات أطفال الشارع. و يضيف إلى ذلك الأسباب السياسية تمرد ك.كالوجي (1996) ، و أخيرا يندد بانسحاب الأهل و غياب التضامن الأسري و عدم مسؤولية الأوصياء (أعمام و أخوال و عمات و خالات و أخوات كبار).

و تدفعنا دراستنا الخاصة للعنف أن نطرح الأسباب التالية:

البطالة

تشكل بطالة الشباب آفة في كنشاسا منذ 1950. و تسببها عوامل خارجية و داخلية exogènes et endogènes ذات طبيعة هيكلية و دائمة : معدل المواليد و تصفية مصادر الاستثمارات الجديدة. في 1960 زادت الصلة ما بين الشباب العاطلين المولودين في المدينة و المولودين في الأرياف الوضع سوءا، و إن كان قبل هذا مقلقا (599: 1987 Manwana). بعد الاستقلال تبعت الانطلاق الاقتصادي الضعيف في السنوات 1970–1974 أزمة عامة لم يتخطاها البلد بعد. و ينعكس تطور الوظائف في القطاعات العامة و شبه العامة و الخاصة هذا الوضع: تبقى الدولة الموظّف الأهم ل446110 شخص في 1984 في مقابل 211110 في 1970. و ستخضع الإدارة لتقليل عدد عامليها ب32 % بعد سياسات التكيف الهيكلي. و تسجل القطاعات الخاصة و شبه العامة عدم استقرار كبير: من 949080 في 1973 لم يقف عدد موظفيها عن التراجع و انتقل إلى 887000 في 1984، أي 93 % من مستوى 1973.

إن التوقعات في ذلك الوقت غير سارة للقطاع الرسمي، مؤكدة أنه في 1990 لن يمكنه أن يوظّف إلا 1226700 شخصا و 3 % من النساء على عدد من السكان يصل إلى حوالي 40000000 . و بالعكس إن القطاع غير الرسمي الذي كان يوظّف في المدن 2000000 شخصا في 1985 سينتقل إلى 7576000 شخصا (3944000رجلا و 3662000 امرأة) و هذا يسمح بتوقع أن عدد العاطلين في المدن سينتقل من 1561000 في 1985 إلى 2124000 في 1990 أي 37 % من السكان النشطين في المدن (606-609: 1987 Mwanwana). إن توجه الاقتصاد الكونغولي "الخارجي" extraversionيمنع تكوين سوق داخلية، و خلق وظائف بأجر أفضل قد تسمح بحياة أسرية محترمة.

الحروب و الصراع على السلطة.

منذ الاستقلال أدى الصراع على السلطة إلى صراعات إثنية كانت نتائجها ترحيل السكان من المدن و الأرياف إلى العاصمة. وصل العديد من الأطفال إلى كنشاسا ما بين 1962 و 1970 بدون أهل. و رافق هذا الترحال ألوف من الأيتام و لم يتم إقامة أي هيكل تنظيمي فعال (Coppiers't Wallant 1992). وتشكل الحروب نفسها سببا آخر لإعادة إنتاج العنف: تجند الجيوش الرسمية و المتمردة الشباب من 12 إلى 18 سنة و تعلمهم الكره و القتل. بعد نهاية الحرب لا يقدر هؤلاء الشباب على التكيف الاجتماعي ،ويقومون بأفعال عنف مختلفة في المدينة. في يناير 1997، كان الجنرال ب.ليكوليا، وزير الدفاع وأستاذ الحقوق لا يزال يدفع الشباب الزائيرى من سن 15 إلى 18 عاما في كنشاسا إلى التجنيد، والذهاب إلى جبهة الشرق المفتوحة منذ سبتمبر 1996.

و لا تترك هذه الممارسات أي فرصة للشباب لكي يتقدم كما شهدت على ذلك حروب السنوات 1960–1967. بالعكس فإنها تعيد إنتاج ممارسات العنف ضد السكان، مهملة ديناميكية المفاوضات السياسية والمصالحة. إنها تتناقض مع فلسفة و مبادئ الديموقراطية. منذ 1959، لم يعد "المتمرد" و المعارض السياسي ينظر إليه باعتباره أخا أو متسابق سياسي بل كعدو حتى الموت، حتى بعد المصالحة.

التغيير الديموقراطي

بشكل يمكن أن يبدو مفارقا، فتحت فترة التغيير التي دامت عدة سنوات المجال اكثر للعنف.و يمكن تشبيهها بدراما سيكلوجية psychodrame يرفض الممثلون فيها الوصول إلى التطهير catharsis. إن تحديات بناء دولة القانون

Etat de droit أهمل لصالح الصراعات الحزبية التي أبعدت أي إمكانية للمصالحة أو لإعادة تحديد قيم المجتمع الجديد. بالرغم من إقامة المؤتمر الوطني، لم يمكن إعادة توجه العنف الذي كان يشكل أساسا "لما بعد المستعمرة الزائيرية" إلى استخدام إيجابي للمجتمع. بالعكس فإنه أدّى إلى موجة أقوى من العنف تسببت في مواجهات سياسية أعنف بين شباب الشارع. و أدت صراعات السلطة إلى تفكك النسيج الاقتصادي و خلقت نقصا مزمنا في البضائع الاستهلاكية أدّى بدوره إلى زيادة الأسعار والبطالة المقنعة: تلك العوامل التي ألقت بالأطفال – نتيجة الجوع– إلى الشارع.

تزايد الإفقار

منذ 1988 غيّر البؤس الذي لا يتوقف عن الارتفاع وجه كنشاسا. تفككت الأسر بعد تخفيض العملة الهائل، و فقدان الوظائف .و دخل النظام الاقتصادي في حالة تحلل ورفع نسبة البطالة المقنعة وفرض بلا مفر "النظام الموازي" système D و لازمته " فليعتمد الكل على نفسه" في الأسرة المتوسطة التي أفلست اليوم. و أخضع القمار و حملات النهب المختلفة (1990–1993) المدينة. إن إفلاس الموظف و نقص البضائع الغذائية وانتشار القطاع غير الرسمي نشر وهم إمكانية الخروج من الأزمة.

بالعكس فإن ثمن الحياة ارتفع بنفس سرعة انتشار التجارة التي تتم في المنزل أو في الشارع. و لم يعد هذا "الاقتصاد السلعي الصغير" في حالة جيدة في كنشاسا. إن إفلاس هذا القطاع الذي كان يشكل آخر أمل لإبقاء الأسر على قيد الحياة حوّل الكثير من الشباب إلى "زبالين". هرب هؤلاء من المنزل الأسري حيث تقسيم وتنظيم الجوع. و رجع قانون الأقوى و ثقافة ال bread winner, (العائل للأسرة) التحتية فارضة العنف و استغلال و ظلم الأطفال و

الشباب من قبل الأب والأم والأخوة الكبار. وأصبح الشارع- بشكل مفارق- المأوى الوحيد، و لكن بشرط: القدرة على كسب و لدفاع عن لقمة العيش هي في نفس الوقت القدرة على الدفاع الشرس عن المجال الخاص و وسيلة كسب لقمة العيش.

الجنس المبكّر و التحدي السكاني

لا تعطي الدراسات عن وضع النساء و الأمهات و الأطفال في الكونغو أهمية كافية لمسألة الخصوبة في المدينة (UNICEF 1989). و يثير ب.نجوندو (P.Ngondo 1991 :571-581) القلق عندما يطرح بعد عشر سنوات نتائج تحقيق عن الجنس عند الكنشاسيات الشابات. و يعطي نموذجا لبنات من 14 إلى 19 عاما من حي فقير من بلدية نجابا. من بين229 بنت تركت المدرسة، 25 فقط، أي 11 % كانت متزوجة رسميا (بدفع المهر)، 39 أي 17 % أعلن أنهن يعيشن في حكاية إجماعية رسمية (بدون مهر، وعد بالزواج فقط، موافقة تقريبية للأهل) في حين أن 56 أي بنت من أربعة كانت لديها علاقة مع "خطيب" أو "صاحب" (عندما كانوا من نفس الجيل)، أو "صديق" أو ببساطة "رجل" (شخص أنضج).

كانت كثرة الولادات خارج الزواج بنسبة أسرة لأربعة. وكانت الأمهات العزباوان يقيمن عند الأهل ويمارسن حياة خفية يختم الباحث هكذا: "إن طريق المدرسة شكّل بالنسبة لبنات كثيرة فرصة كل المخاطر". إن الجنس أخذ أشكال مقلقة جزئيا تحت غطاء الزواج -المأوى، في مدينة كنشاسا حيث يقوم عدد كبير من المراهقات بعمليات إجهاض، في غالب الأحوال غير معلنة. و يكشف تحقيق من 1978-1980 أن مستشفيات كنشاسا و ماتادي و بوكافو سجلت 2645 إجهاضا منهن 47،4 % عمرهن أقل من 20 عاما. و تعريفهن كالآتي: عازبة،

طالبــات أو تلميــذات بــدون دخــل ويعيشــن تجــربتهن الأولى في الــولادة (Bongwele 1985) .

أدّى تحول الممارسات الثقافية و الأزمة الاقتصادية إلى تغيير القيم المرتبطة بالجنس. إن البنت مواجهة بهذه القضية أكثر من الولد في بيئة المدارس المختلطة و في ثقافة الشباب (موسيقى و رقصات ايروتيكية) و في الإعلام الذي ينشر ثقافة حديثة لا تكون عليها رقابة و محملة بالجنس الحر. و لكن نجحت البنات في تحويل الجنس إلى وسيلة نجاح اجتماعي. و ترجمت ثقافة النجاح السلبي passive في هذا التعبير "choc, chic, chèque " أشهرته طالبات الجامعات. الأول، طالب يدعى أيضا "الزميل" يساعد البنت في نشاطاتها الأكاديمية، الثاني هو الحب الحقيقي و والد الأطفال في المستقبل و الثالث هو برجوازي المدينة الذي ينفق لإبقاء المثلث على قيد الحياة. و انتهت الطالبات إلى وضع نوع من القوادة التقليدية والهرمية و يحولن الجنس لمصلحتهن للرد على طلب يرتفع.

و من ناحية أخرى فإن اختفاء درس "التربية للحياة" الذي كان يحتوي أيضا على تربية البنات الجنسية من 12 إلى 16 عاما من البرامج الدراسية لم يكن في صالح البنات. بدأ في 1972 في مدينة كنشاسا (Brock 1986 :247-252) كان هذا الدرس ينشر الوعي بين البنات في المسائل المرتبطة بالجنس و بنتائجه التي تقع بسبب الجهل، ضحاياه البريئة. و حتى إذا كان فعالا حتى 1978 ، فقد اختفى في النهاية بسبب نقص الدعم.

بسبب عدم ارتباطه بممارسات لتحديد النسل، يضيف الجنس الجامح للمراهقين و الناضجين من الجنسين إلى الضغط السكاني على المدينة. إن تعمير كنشاسا يطرح مشاكل كبيرة على والنقل و الصحة و التربية، إلخ. الكثافة السكنية تصل إلى 226 شخص لكل كم مربع. فقط 21 % من السكان يحصلون على ماء

صالح للشرب. و لكن لا يزال معدل الخصوبة آخذاً في الارتفاع. (World Bank 1989 :8-9,32-34) : لا توجد سياسات مناسبة في مجالات السكان أو الصحة أو التغذية للسيطرة على أي من عناصر الارتفاع.

الدين و العقل الاثنوغرافي

اختارت حركة الخمسين الشعبية التي تجتاح زائير، كنشاسا كنقطة مركزية (1975–1996). و حتى إذا كانت تشكل أيضا مصدرا آخر للعنف بسبب عدم احترامها لحقوق الإنسان فيما يخص المعتقدات (تحرش ديني في الشارع و في الحياة الخاصة و ظهور كنائس جديدة يغنون و يبشرون في الأحياء الشعبية) (Biaya 1997) فقد أقنعت جزءا من الناشطين الاجتماعيين و حوّلتهم إلى متعصبين.

و إذا كانت هذه المسيحية - ذات الطبيعة الأفريقية- تنتقد أسباب العنف الأخرى و رفض أطفال و شباب الشوارع من قبل أسرهم فكرة الإيمان بسوء الحظ و اللعنة الموروثة فإنه تولد نماذج و تصرفات أخرى و مراجع جديدة إلى جانب أن هذه الحركة تعيد تفسير الشر الراهن بعدم تمييز الجلاد (أصبح أعضاء الطبقة الحاكمة قساوسة) من الضحية (الشعب الصغير)؛ فقد تؤدي هذه الكنائس - بالرغم من انتقاداتها لثقافة المتعة في المدن - إلى فخ آخر يؤدي بدوره إلى عنف آخر من خلال تفسيرها للثقافة المحلية و ممارساتها للشفاء؟و لا يخلو التعزيم الذي تستخدمه لتحقيق هذا الهدف قط من العنف تجاه الطفل و المراهق الشاب. و تخضعه لممارسات غير مقبولة (غسيل مخ، تعذيب ذهني، كراهية للأسرة، طرد الأطفال من قبل الأسرة،الخ.). تبني دائرة العنف الجديدة تلك نفسها و تبرر نفسها باسم الحداثة و الإله الذي سيحرر العالم من الأزمة.

النموذج العام و العنف الهيكلي

منذ عام 1990 المستفرقون أن يضعوها كمكان يحكم على تنظيمه و على عدد من تصرفاته بشكل سريع وغير عقلاني. إن العنف هو عنصر يأتي من هذه الكتابات و محاولات التفسير. و تشكّل "مرحلة ما بعد المستعمرة" نموذجا لعنف الدولة. و لكن ضعفها في تشاؤمها الأفريقي إن "التفسيرات التحتية" تفضل نموذج تفسير خارجي يضحّي بالتنظير للممارسات انطلاقا من مفاهيم في اللغات الأفريقية.

تصف دراسة حالة كنشاسا الأماكن المختلفة التي يظهر فيها العنف ووسطائه و أهدافه. و تظهر إلى أي مدى أصبح العنف ينظم عقلانية الشارع، كتهديد معلق بشكل دائم فوق رؤوس الناس. من ناحية، فإنها تندد بالقرارات الشرعية المختلفة لحماية الشباب التي تدور في الفراغ لأنها تحوّلهم إلى جانحين ومن ناحية أخرى تكشف عن وجود سلسلة من الصلات المباشرة بين المجتمع الكنشاسي وإنتاج العنف. لا نحتاج إلى العديد من الإحصائيات لكي نقتنع بهذا. إن دائرة من الصلات ما بين القطاعات المختلفة (اقتصادية و سياسية واجتماعية و ثقافية) التي تنظم المجتمع الكنشاسي وضعت العنف كإطار تنظم نفسها فيه، و تنشط و تعمل.

إذا وجد أصلها في الفرق ما بين الواقع و المحتمل فإن العنف الهيكلي يشكّل الوسيلة لتنظيم ديناميكية هذه المدينة. إنّه يشكّل نسيج جسمها الاجتماعي. و ساعد التاريخ المقارن لثقافات العنف في فهم خصوصية الشكل الراهن للعنف. إنّه أكثر عنفا لأنه يؤسس تطهيرا extermination للطفولة و للمراهقة – من قبل مجموعات منظمة (Landers 1988 :37-42). لم يصل هذا التطهير في كنشاسا إلى مرحلة أمريكا اللاتينية أو بعض الدول الأفريقية في حالة حرب كليباريا أو الصومال.

و لكن أخذ هذا التطهير شكلا يوميا "محجورا عليه" كهدف و وضعه في وضع سفلي و تابع على السلم الاجتماعي. و يشكّل المراهق الشاب الكنشاسي صورة

العنف النموذجي. إنّه يخضع بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى نفوذ دائرة العنف في عصابة من الأنداد أو في عصابة إجرامية يقودها شخص أكبر سنا، هو نفسه مجرم صغير قديم.

أحيانا تجند هذا الشاب الكنشاسي منظمة شرعية – الجيش أو الأحزاب السياسية – لإعطائه الاستخدام الشرعي للعنف ضد شباب آخرين عندما لا يستخدمه كوسيلة للدفاع الشخصي. تسمح له في هذه الحالة بتحقيق ضربة مضاعفة: التأكّد من إبقائه على قيد الحياة و في ننفس الوقت إظهار قوّته الخاصة في المجتمع. حينذاك يصبح العنف إمكانيّة و طريق للاعتزاز بالنفس auto-valorisation **في هذا المجتمع حيث *الظهور قويا و غنيا هو شرط من شروط إثبات وجود الشخص.***

من ناحية أخرى، يذكّر وضع الشباب في كنشاسا ، حتى و إن صعبت المقارنة أو المشابهة، بوضع شباب ريو دي جانيرو حيث لا تتركز غالبية الضحايا في عالم أطفال الشارع و حيث يمتلكون صلات مع الأسر و منزل ثابت (NCCVACA 1992 :6)**. و في السنوات الأخيرة يدل ارتفاع عدد أطفال و شباب الشارع الذين طردهم البؤس و المجاعة من المنزل الأسري على توسيع دائرة عدم العقاب القانوني والتي تسمح باستغلال الشباب من قبل الكبار و الأهل (ممارسة الجنس مع الأطفال، القوادة و الاغتصاب الجنسي و الاغتصاب القانوني و السطو ، إلخ). و يتجسد العنف الهيكلي و يتجذر و يعمل في إطار ما بعد المستعمرة هذا من خلال صلاته السياسية و في المقابل يدل على إلى أي مدى تبقى الممارسات الشعبية التحتية ليست مجرد حيل يومية أو مناوشات موجهة ضد السلطة القائمة. بل هي ممارسات و ثقافة عنف الشباب، تلك التي تنشر هيكلا جدليا ناتجا عن الفقر في المدينة ، بناه النظام السياسي القائم (سلطة السارقين و إدارة غير متقدمة و فاسدة، و السلطة الشخصية و السيطرة على السكان من أجل إعادة إنتاج شكل جديد) و عن فشل مشروع ذلك المجتمع** (respublica **و دولة القانون** Etat de droit**) و عن سوء تنظيم قطاعات هذا المجتمع المختلفة والمبنية على أساس اقتصادي فاسد وغير سليم.**